محمد الغزالي

الحق المر

دار الريان للتراث

اهداءات ٢٠٠٢
أ/ رشاد كامل الكيلانى
القاهرة



للشيخ محمد الغزالي

دار الريان للتراث

رقم الايداع ٨٧/٣٥٨١

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية

● دار الريان للتراث ١٧٧ شارع الهرم . ت : ٥٣٦٥٩٩
● مصر الجديدة : ٢٠ شارع الاندلس . ت : ٢٥٩١٨٩٢/ ٢٥٩١٨٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم :

أما بعد :

كما يقدم الطبيب البارع وسائل الشفاء لمريضه ، وقد يكون الدواء مراً شديد المرارة . إلا أنه لا علاج للمريض بدونه ، فكذلك يقدم المفكر الإسلامى الكبير الشيخ محمد الغزالى ، وسائل الشفاء لأمراض الأمة الإسلامية ، بعد أن تمكنت منها هذه الأمراض ، ونالت من هيكلها وعزمها وبأسها وروحها ، وجعلتها عاجزة عن اللحاق بالأمم .

والشيخ الغزالى لا يقدم حكماً ومواعظ مصبوبة فى القوالب المألوفة لدينا ممن يتصدون للعمل الإسلامى ، وإنما يبسط القضايا والمشكلات والسموم التى تواجه المسلمين ، وتعوقهم عن بناء حياتهم على الدعائم التى أرساها الدين الحنيف ، وأقام عليها المسلمون الأوائل حياة كلها عزة وسؤدد ومجادة ، وكانوا سادة العالم وقادته ومشاعل حضارته .

وإذا كان المفكر الإسلامى الكبير قد طاب له أن يسمى هذه الشذرات الذهبية « الحق المر » فلأنه كشف فيها عن العيوب والمثالب

والنقائص التى ارتكس فيها المسلمون أحقابا ، وهى ولا شك مرة ومذاقها أليم . ولكن تشخيص الداء هو أول خطوة فى علاجه وشفاء المريض منه ، ولا أمل لنهوض هذه الأمة من كبوتها . إلا إذا تعرفت أسباب الكبوة ، وعالجتها بالوسائل المثلى . وهذا فعله فضيلة الشيخ الغزالى .

ولقد كانت هذه الشذرات الذهبية متناثرة فى مجلة « المسلمون » ولم يفد منها إلا قراء هذه المجلة ، فوجدنا أن تنسيقها فى كتاب يجعل منها سبيكة نادرة تجمع المسلمين على نفاستها وأصالتها وجلالها العجيب . ونحن إذ نقدمها للقراء ، فإنما نضيف إلى مكتبة التراث بخاصة ، وإلى المكتبة الإسلامية بعامة كتابا فريدا يتبوأ قمة عالية وذروة شاهقة فى عالم الفكر الإسلامى الخالص .

وعهدنا وعهد المسلمين جميعا بفضيلة الشيخ محمد الغزالى أنه يصدر فى كل كلمة يخطها عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت ويقين عميق . وأنه منذ فجر شبابه يجاهد بقلمه وفكره من أجل إنهاض هذه الأمة ، لا يدركه ملل ، ولا يناله فتور . ويواجه مشكلات المسلمين بالرأى المدعوم بالحجة ، والفكر المشفوع بالبرهان ، والمنطق المصحوب بالدليل . . ولا يطلب على عمله الإسلامى أجرا ، وإنما أجره على الله ، فهو نعم المجزى ، ونعم المثيب .

فإلى هذه الأمة : حكاما ومحكومين ، ورؤساء ومرءوسين ، وشيوخا وشبابا ، نقدم هذه الشذرات الذهبية ، ونحن أشد ما نكون اعتزازا بها ، وإجلالا لها ، وتقديرا لما فيها من أصالة وإبداع ،

﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾

عبد الله حجاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه كلمات وجيزة ، أو ومضات سريعة ، تتضمن أشتاتا من القضايا والأحكام ! .

قد يكون فيها تصويبُ خطأ شائع ، أو إحياءُ صواب مهجور ، أو تعليق على حدث تاريخى أو معاصر ، أو إثبات خاطرة نفيسة ، أو استثارة الهمم نحو هدف شريف .

إن العقل المؤمن مرصد واع يلتقط كل ما يمّس الإسلام من قريب أو من بعيد . .

وكما أن هناك مقاييس لقوى الزلازل ، وأُخرى لدرجات الحرارة والرطوبة والتلوث مثلا ، فإن المهتمين بأمر الإسلام يرصدون ما يمّس حقيقة رسالته ومسار دعوته وشئون أُمته ، وعوامل المدّ والجزر ، واليقظة والغفلة ، ثم يقدمون حساباً مضبوطاً لما رصدوه .

وهذا الحساب شعاع على الطريق ، وبيان لمن تتشابه عليهم الأُمور . وقد يتطلب ذلك كتباً مبسوطة ، لكننا هنا اكتفينا بالإشارات العجلى معتمدين على ما تخلفه فى نفوس القارئين من حركة وانتباه . . .

ومعروف أن القارئ المعاصر قد يكتفى بالمقالات الخاطفة ويؤثرها على الاسترسال والإطالة ، والمهم أن ننتهز هذه الرغبة لنودع ما نكتب على عجل ، حقائق نفاذة ، وتوجيهات مجدية .

وقد تابعت ابن الجوزى فى هذا النهج ، فكتابه « صيد الخاطر » تضمن بحوثاً فى سطور لكنها جليلة الفائدة ، بل لعلها أفضل من رسائل طويلة . .

إننى فى هذا الكتيّب أجمع ما تفرق تحت عنوان « الحق المرّ » الذى كانت تنشره لى مجلة « المسلمون » الصادرة فى « لندن » .

وذلك لأن جماهير كبيرة كانت لا تصلها الأعداد مع رغبتها فى قراءتها ، ثم إن من المصلحة الإسلامية حشد هذه المنشورات فى صعيد واحد ، كما اقترحت ذلك مكتبة التراث الإسلامى . .

إن الخاطر السريع قد يكون جديراً بالبقاء بقدر ما يمزق من حجب ، ويترك من صحو ، ويمحو من حيرة ، ويثبت من رشاد ! . .

والله من وراء القصد . . .

محمد الغزالى

هل اخطـأنا الطـريق ؟

قرأت أن رئيس الولايات المتحدة طلب من الباكستان ألا تمضى فى صنع القنبلة الذرية ، وأنه هدد بقطع المساعدات العسكرية عنها إن هى صنعت هذه القنبلة !

ومعلوم أن الهند سبقت إلى صنع القنبلة الذرية بعون روسى ، وأن أمريكا لم تقطع عوناً سابقاً ولا لاحقاً عن الهند لما تسلحت بهذا السلاح الهائل ! . . .

وظاهر أن المراد من المسلك الأمريكى هو بقاء المسلمين أضعف فى أى صراع يمكن أن يقع ! . . .

وهو الخط ذاته الذى تسير عليه أمريكا فى الصراع العربى الإسرائيلى الخط الذى يجعل « دولة إسرائيل » وحدها قادرة على أن تهزم أكثر من عشرين دولة عربية مجتمعة ، وذلك بترجيح كفتها عسكرياً ومدنياً ، والتدخل المباشر إن اختل الميزان .

إن البغضاء الكامنة ضد الإسلام وأمته لا تنتهى ، وأوروبا وأمريكا سواء فى هذه المشاعر المشبوبة .

وقد شعر الناس بالدهشة لأن وزير الجامعات فى فرنسا أصدر قراراً بوقف « جان كلود ريفيير » من منصبه الجامعى العالى ، وسحب شهادة الدكتوراه التى نالها الباحث « هنرى روك » .

والباحث المذكور أثبت فى أطروحته العلمية أن إبادة اليهود فى ألمانيا النازية خرافة ، وأن الزعم بإحراق ستة ملايين يهودى فى أفران

الغاز لا أساس له من الصحة ، وساق الرجل من الأدلة العلمية ما حمل الجامعة على منحه الدكتوراه ، فالسلطان فيها للعلم وحده .

لكن المنظمات اليهودية غضبت ، ولما كان اليهود مُدَلَّلين فى العالم الصليبى ، فلابد من إرضائهم ، والنزول على إرادتهم . .

وفى فرنسا وقع قبل ذلك ما يدعو للعجب ، فعندما أسلم « رجاء جارودى » قُدِّم للقضاء بتهمة محاربة السامية ، واتفق الناشرون فى باريس على ألا يطبعوا له كتابا ، وألا يتعاونوا مع من يتعامل معه ، وطاح مستقبل الرجل من الناحية المادية وإن كان قد ظل شامخاً مستنداً إلى الله وحده . .

إن هذه الأمثلة حصيلة ما قرأنا فى أيام معدودات ، أما ما تلقاه الأمة الاسلامية من غمط وإساءة فسيل لا ينقطع . . والمثير أنه يتم تحت عنوان « العلمانية » « أو الإنسانية » ولا يتم تحت عناوين التعصب الدينى والأحقاد القديمة ! . .

وتغيير العنوان لأمر ما يذكرنا بحكاية البقال الذى كتب على علبة السكر فلفل (!) لماذا ؟ حتى يخطئ النمل الطريق ! ! فهل أخطأنا الطريـق ؟ . .

مطلوب جيش من الدعـــاة

كانت الشعوب التى سقطت فى براثن الروم والفرس يائسة كل اليأس من خلاص تظفر به يوماً . .

وأىّ أمل لمصر مثلا وقد ظلت خمسة قرون مستعمرة رومانية أن تُحرر وتنجو ؟ لكان وضعها السيىء أمسى قدراً لافكاك منه ! وكذلك كانت الحال على شواطىء البحر المتوسط الذى احتُلَّت أقطاره كلها أعصاراً متطاولة وتحوَّل إلى بحيرة رومانية . .

بيد أن أصحاب محمد ﷺ وحدهم هم الذين كسروا أبواب السجن ، وقالوا للمسجونين المشدوهين : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

إن الذى وقع كان معجزة حقيقية ، ولم يكن يستطيعها إلا أصحاب محمدعليه الصلاة والسلام وحدهم . ! ذلك لأنهم أسلموا لله وجوههم ،وتعرَّوا من زخارف الحياة ومآرب الدنيا ، وتأثَّروا بخطوات نبيهم وهو يعطى ولا يأخذ ،ويحيي ولا يميت ، وينشد الآخرة ويستعلى على العاجلة . .

وهذا النوع من الدعاة هو الذى يغيِّر وجه العالم ، وقد استشهد ربع الصحابة مع المدّ الإسلامى ! . .

ومن بقى منهم وقف حياته لنشر الإسلام بالخُلق والعبادة والتعليم والأسوة الحسنة . . ! أى أن من مات مات لله ، ومن طال عمره عاش لله ، وكانت النتائج أمراً عجبا ، إن الأمم التى أسلمت لم تتخلَّ

عن كفرها فقط ، بل تحولت خلْقاً آخر !خلقا يقول للفاتحين إذا تراخيم فسنتولّى نحن الدعوة ، ونرفع الشعلة ! . .

إن هذا الخير الجمّ والأثر الواسع ابنجس من فؤاد واحد ، فؤاد صاحب الرسالة الخاتمة ! . .

وقد كان يعرف ما سوف يقع معرفة تامة ، تدبر ما رواه الشيخان عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون : فيكم من صاحبَ رسولَ الله ؟ فيقولون : نعم ! فيُفتح لهم ! . .

ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ؟ فيقولون : نعم ! فيفتح لهم ! . .

ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ؟ فيقولون : نعم فيفتح لهم » .

إن هذا الحوار لم يقع ، ولم يحكه تاريخ وإنما هو تصوير لعمل القلوب الكبيرة فى العالم ، وهو تصوير لأثر تلامذة محمد وحوارييه بين الناس ، وهو تصوير لاستجابة الشعوب لهم عن محبة ورضاء وإعجاب . .

كان أولئك الأصحاب مدارس إيمان ومنارات إرشاد .

وما أنكر أنه جاء من بعدهم من سار على الدرب ، ومضى إلى الغاية نفسها ولكن الأمر كما وصف القرآن الكريم ﴿ ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ . .

الذى ألحظه أن الظلام القديم عاد ، ولن يبدّد غيومه إلا جيش كبير من الهداة الأوائل ، ممن يجددون سيرة السلف الفاتحين . . .

أصحاب السلطة وحقوق الاسلام

كانت الدعوة إلى الإسلام فى دماء العرب يوم خرجوا من جزيرتهم مصابيح تكتسح الظلمة وموازين تبدِّد المظالم ، هكذا كان كتابهم وهكذا كان رسولهم .

وقد بدا ذلك جلياً فى قوله تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ﴾ .

وكانت الأيام تمر بالعرب كما تمرّ السنون بالشاب المجتهد المتطلّع فإذا هم على عجل طليعة الدنيا ثقافة وحضارة واقتدارا وازدهارا ! . .

فهل بقى العرب الأخلاف على ولائهم للدعوة ووفائهم بحقوقها ؟

إننى أذكر هاتين الواقعتين من تاريخنا وأقف متأملا .

كتب الأستاذ عبد الحليم الجندى فى تأليفه القيم « القرآن والمنهج العلمى المعاصر » يقول : « حسب القارئ بياناً لمدى الانتفاع بعلوم الأندلس فى عالم الظلمات الأوروبى خطاب صادر إلى الخليفة هشام الثالث (٤١٨ ــ ٤٢٢ هـ) فى نصه غنى عن أى تفصيل جاء فيه . . .

« من جورج الثانى ملك انجلترا وفرنسا والنرويج إلى الخليفة هشام الثالث . بعد التعظيم والتوقير سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم فى بلادكم العامرة ، فأردنا لبلادنا اقتباس هذه الفضائل لنشر العلم فى بلادنا التى يحيطها الجهل من أركانها الأربعة .

وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز . . . » من خادمكم المطيع « جورج »

وفى بحث تاريخى للدكتور عبد الهادى التازى يعتب الباحث الذكىّ على ابن خلدون إهماله لوقائع جديرة بالتسجيل ، يقول : « ولأذكر على سبيل المثال العرض الذى تقدم به « جوهان » ملك انجلترا إلى الخليفة الناصر بواسطة السفارة التى بعث بها إلى البلاط الموحدى (٦٠٨ هـ ١٢١٢ م) .

لقد جاء فى هذا العرض طلب مساعدة عسكرية من الموحدين ضد النبلاء ورجال الدين والأهالى ، ودليلا على الامتنان عرض الملك « جوهان » ملك انجلترا أن يعتنق الإسلام هو وسائر أفراد رعيته . . . » ! !

يقول الدكتور التازى : « عبارة فى مثل هذه الأهمية رددتها المصادر الإنجليزية بإسهاب ، وذكرت أفرادها واحداً واحداً يسكت عنها ابن خلدون » ؟ .

وإذا كانت الناحية العلمية ظلمت بهذا الصمت ، أو هذا الإهمال كما يلاحظ الباحث ، فنحن نرى أن الدعوة الإسلامية قد ظلمت أكثر وأكثر فى المثالين اللذين سقناهما هنا . . .

وظاهر أن أصحاب السلطة السياسية فاتهم الوفاء بحقوق الإسلام ، ولم يكترثوا كما يجب باستغلال تفوقهم الحضارى فى نشر الدعوة ، ولو عن طريق معاهدات ثقافية متكافئة ! فم نصف ذلك ؟

مفهــوم خطـأ عن أبى ذر

قال لى : أنا مع اليسار الإسلامى ! فلبثت ملياً ثم قلت : الإسلام دين ليس له يسار وليس له يمين ، إنه نهج فذٌ يخالف المغضوب عليهم كما يخالف الضالين . . .

قال : أعنى أننى مع رأى أبى ذر رضى الله عنه . . .

فتفرست فيه ثم أجبته : أننى أعرف أنك شيوعى فهل أنت مع أبى ذر فى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ؟ هل أنت مع الرجل الصالح فى أداء الفرائض من صلاة وصيام وترك المناكر من خنا وبغى ؟ هل أنت معه فى الإيثار والمرحمة فلا تبقى لديك فلسا لأنك أسرع الناس إلى البذل والمواساة وطلب الآخرة ؟ .

إن أبا ذر رضى الله عنه عاش زاهدا مجاهداً لم يخذل الإسلام فى موطن ولا نكص فى معركة ، بل كان أصرح الناس رأيا ، وأشدهم فى الله بأسا ، فما أنت وأبو ذر ؟ . .

قال أنا أتابعه على رأيه فى المال ، إنه يحرم ألا يستبقى أحد عنده فوق حاجته . . .

قلت ضاحكاً : أحسبك تكلف الآخرين بهذا الرأى ، أما أنت فما أحسبك تتنازل للفقراء عن قصر ملكته بطريقة ما ، أو مزرعة جاءتك ولو بطريق الميراث . .

لقد ظننتم أبا ذر شيوعيا والرجل بعيد عن هذه النزعة ، إنه مسلم صالح يتبع القرآن والسنة ولا يعدل بهما شيئاً فى الأولين والاخرين . . .

والمسلمون كلهم يرون أنه فى الأزمات التى تهدد الإسلام وتهز أركانه يجب ألا يدخر أحد نفساً ولا مالا ، وقد كان جمهور المؤمنين فى الأيام العصيبة — مثل غزوة العسرة — يتنافسون فى دعم الجهود الحربية ، فمنهم من يخرج من ماله كله ، ومنهم من يخرج من ماله نصفه ، ومنهم من يبذل القناطير المقنطرة . .

وكذلك كانوا يتباذلون فى أيام السلام ، فلا يَدَعون محروماً ولا يُضيعون ضعيفاً ، ونهضت تقاليد الكرم وخفتت نوازع الشح ، واستقرّ بين الناس إنفاق ما زاد على الحاجة . . .

لكن شيئاً من ذلك لم يعطل آيات المواريث ، ولم يمنع أصحاب الفضول أن تكون لهم مدخرات تنفعهم فى غدهم ، وتنفع ذراريهم من بعدهم ، ولم يختف التفاوت بين الأغنياء والفقراء فى مقادير الثروات التى يحوزونها . . .

الذى اختفى هو التضوّر والبأساء ! ربما ظن أبو ذر أن النعماء التى شاعت أن أحدا لم يمسك شيئاً يزيد على حاجته ، وربما سبق إلى ذهنه أنه يحرم الادخار على المؤمن .

لقد اتفق أولو الرأى والعقل على أن ذلك خطأ . فهل يعنى ذلك اتهام الرجل الصالح بأنه من اليسار الإسلامى ؟ . .

إن الشريعة فى البناء أخت العقيدة فى الأساس ، ومع الشريعة والعقيدة معاً نسير ، ونرفض أى تحريف . .

مغالطـات العلمـانيين

أحد الذين حضروا ندوة « الإسلام والعلمانية » سألنى : لماذا لم تجب عن تساؤل الدكتور فؤاد زكريا : ماذا يفعل الإسلام لحل مشكلة الديون المصرية ؟ . .

قلت : وجدت السؤال ساذجاً ! ولو قال : ماذا يفعل الإسلام لعلاج أخطاء العلمانية الاقتصادية لسارعت بالجواب !

قال : وما هذه الأخطاء ؟ فرددت بسرعة : إن مصر بعد الحرب العالمية الثانية كانت دولة دائنة ، وكانت القيمة الذاتية للجنيه المصرى خمسة أضعاف الدولار الأمريكي ! فما الذى جعل الدولة الدائنة مدينة ؟ وما الذى جعل الجنيه يساوى فى الأسواق نصف دولار ؟

تلك آثار العلمانية الاقتصادية ، وعبقريتها فى التخريب المادى والأدبى !

والسخيف أنها تخفى هذا الفشل تحت ثوب من الترفع والتعالم ! ! ثم نقول للمسلمين : ماذا ستفعلون لحل المشكلة ؟ المشكلة التى وضعوا هم بذورها . .

قال : إن كثيرين يرددون هذا السؤال معهم ، فلننس ما كان ولنجب نحن ! قلت : لا بأس ، إننا – باسم الإسلام – نتحرك وأمامنا هذه الحقائق .

أولا : إذا كنا مدينين بستة وثلاثين ملياراً من الدولارات فهناك ضعف هذا المبلغ من الثروة المصرية موجود فى البنوك الخارجية ، وينبغى أن يعود كله أو جلّه . . .

ثانياً : الإنتاج العام عندنا ضعيف إلى حد مخيف ، ويكاد يوم العمل يهبط إلى ساعة واحدة بينما هو فى الدنيا ثمانى ساعات . إن المديرين والمنفذين يتحركون بغير حماس وبلا وعى ! ويجب أن يتغير هذا كله.

ثالثاً : آن الأوان لمحو تقاليد السرف والترف ، ومقاتلة المخدرات والمسكرات جميعاً ، وإرغام أصحاب الكروش على شد الأحزمة ، والعيش كسائر الناس .

رابعاً : عند التأمل سنجد أن الدول الفقيرة سدّت ماعليها، ولكن ما دفعته ذهب فى الفوائد الربوية ، وفى رواتب الموظفين والخبراء الأجانب الذين يصحبون المشروعات الإنمائية (!) أى أن الدول الغنية تقوم بأعمال سرقة ونهب وتغرير واحتيال ، ويجب فضح هذا المسلك .

قال صاحبى : اشرح لنا السياسة الإسلامية التى تنظر إلى هذه الحقائق . . !

قلت : إننى على استعداد ، لكن بعد أن أسمع من العلمانيين كيف جعلوا الأمة الدائنة مدينة ، وكيف جعلوا العملة النفيسة خسيسة . . .

إن هؤلاء البله يحسبون أن الإسلاميين سيقيمون حلقة ذكر لحل المشكلة ! . . .

العلاقة بين الأديان

كنت أتمنى أن تكون العلاقة بين الأديان المختلفة ـ خصوصاً السماوية ـ أفضل مما هى عليه الآن ، وألا تدحرجها الأطماع إلى المستوى الذى بلغته . . .

إن اليهود فى غارتهم على فلسطين يكشفون عن وجههم الدينى ، ويصرخون بأنهم يلبّون نداء التوراة والتلمود وأنهم يريدون تسلّم ميراث أبيهم إبراهيم (!) . . .

وقد رأى العرب لأمرٍ مّا ! إبعاد الطابع الدينى عن هذا النزاع الدائم النزيف ، وقرروا فى المحافل الدولية كلها أنهم يطالبون بالحقوق المجردة لعرب فلسطين ، الحقوق الإنسانية وحسب .

ولا يزال السيد : ياسر عرفات يقول باسم الفلسطينيين : إنه يريد إقامة دولة علمانية تسع الأديان كلها . .

وهناك عدد من الدول الصغرى، والدول الأوروبية ذات المصالح الاقتصادية يساند هذا الاتجاه ، بعد أن اطمأن إلى أن الإسلام فى النظام المقترح سيكون شكلا واهن الموضوع !

بيد أن الأمور لا تزال تتدحرج من سيئ إلى أسوأ . . . فها هو ذا مستر « نيكسون » زعيم الولايات المتحدة الأسبق يخرج من محنته ليهدد بحرب صليبية ، وكذلك فعل مستر « أدوارد لوتواك » مستشار الإدارة الأمريكية الحالية مما جعل المعلق فى إحدى الصحف الأردنية

يتساءل ساخراً : متى وقفت الحملات الصليبية ونحن نشهد باستمرار آثارها الاقتصادية والثقافية والسياسية ؟ . . .

لكن الطين زاد بلة بعد زيارة بابا الفاتيكان للكنيس اليهودى فى روما ومشاركته فى حفل دينى أقامه الصهاينة ! إن هذه الزيارة لو كانت صامتة لكانت دلالتها ناطقة ! فكيف وقد حيّا المجتمعين وزكّى اليهود ، وقال لهم – وفق الترجمة التى قدمها لى الخبراء – إنكم إخوتنا المفضلون ! .

مفضلون على مَنْ يارجل الدين الكبير ؟ على عرب فلسطين المحرومين ؟ . . .

وأوثر أن أنقل عبارات بابا المسيحية الأكبر عن جريدتى « التحرير » و « الصباح » الفرنسيتين الصادرتين فى ١٤ أبريل سنة ١٩٨٦ . قال للحاخمات الذين استقبلوه : تربطنا بكم علاقات لا تربطنا بأى دين آخر ، أنتم إخوتنا المفضلون ، أو بتعبير آخر نستطيع أن نقول : أنتم إخوتنا الكبار ! !

وعندما يتحدث البابا عن المسيح يقول مخاطباً اليهود : يسوع الناصرى ابن شعبكم !

وقد علقت الجريدة الفرنسية على اللقاء السابق بأنه يتم وسط أحداث يبرز فيها إسلام متعصب متزمت ، يقابله تيقظ الضمير الدينى للحروب الصليبية ! ! . .

لست أدرى ماذا يقول العرب ؟ وماذا سيفعلون ؟ . . .

الجمعيات الاسـلامية بالخارج

زرت مسجد « باريس » وألقيت به عدة محاضرات وتحدثت مع رواده ودرست بعض قضاياهم وكونت فكرة مجملة عن شئونهم المادية والأدبية .

وعندما نظرت إلى صفوف المصلين وأنا أخطب الجمعة أحسست أن سوادهم من هذا الصنف الذى إن حضر لم يُعرف وإن غاب لم يُفتقد ! إنه صورة نبيلة لجماهير المسلمين المحبين لدينهم الحريصين على إحياء شعائره وإسراج منائره . .

لكننى لما درست أحوال بعضهم مسَّنى الضرّ وشعرت بالقلق ! إنهم ينتمون إلى جمعيات شتى ، وينتشر بينهم خلاف وجدال طويلان .

قال لى صديق : ليس فى كثرة الجمعيات ضرر ! قلت : ذاك لو كان التعدد نوعياً ، هذه لتعليم اللغة العربية ، وهذه لرعاية الشباب ، وهذه للرياضة البدنية ، وهذه لتيسير الزواج بين المغتربين والمغتربات ، وهذه للرحلات إلى الداخل والخارج . وهذه لدراسة شبهات المبشرين والمستشرقين ، وهذه لزيارة الأحزاب والمؤسسات الفرنسية . . . الخ .

أما انقسام هذه الطائفة الإسلامية المحدودة إلى سلف وخلف ، وحركيين وصوفيين ، ومالكيين وحنفيين ، وشيعة وسنة وأعراب وأعاجم . . . الخ فهذا بلاءٌ مخوف العواقب ، إن كان محقور الشر اليوم فربما أودى بالجميع غدا . . . لقد حذَّرت وما زلت أُحذِّر من نقل العلل القديمة إلى هذا المجتمع الجديد .

أعرف أن الأوربيين تشيع بينهم شهوات منكرة ، لكن هذه الشهوات — على دمامتها — أقل فتكا بالأمم من حب الرياسة وطلب الظهور وتحوُّل الناس إلى شراذم يقودها أمكرها أو أضراها .

قال لى صديق : كان هناك خمسة أشخاص يريدون تكوين جمعية ، فقال أحدهم : أنا الرئيس العام ، وقال الثانى : أنا نائب الرئيس العام ، وقال الثالث : أنا الوكيل العام ، وقال الرابع : أنا المراقب العام .

قلت : يجب أن يقول الخامس : وأنا العضو العام !

إن فراغ النفس والعقل وراء التطلع إلى الصدارة ، واختلاق تشكيلات كثيرة لإشباع رغبة طفولية . .

إننى أنصح المسلمين فى كل بلد أوربى يعيشون فيه أن يكونوا — شكلا وموضوعا موضع إعجاب الأمة التى نزلوا بأرضها ، ولن ينالوا هذا الإعجاب إلا إذا كانوا آية باهرة فى تربيتهم وثقافتهم ومسالكهم ، هنالك فقط ينتظرون البقاء والنماء .

يكره الإسلام الأمراض النفسية كراهية شديدة ، ويراها أسوأ عقبى وأعم ضرراً من الأمراض البدنية والواقع أن عمى البصر أخف من عمى البصيرة ، ودمامة الوجه أهون من دمامة الروح .

وقد رأيت فى حديث نبوى واحد استعاذة من جملة علل نفسية تهبط بقيمة الإنسان وإنتاجه ، وتحول بين الشعوب وبين أية مكانة مرموقة .

والحديث كما صح فى المأثورات « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . . . » ! !

ثمانية أدواء هى فروع من شجرة خبيثة تستحق القطع ، لأن واحداً منها يجلب الضرّ فكيف بها مجتمعة ؟ .

وننظر على عجل إلى كل واحد من هذه الثمانية ! أولها : الهمّ وهو انشغال القلب بما يثير الكآبة دون قدرة على ردّه ، والمهموم يواجه الحياة ببعض قواه لأن البعض الآخر مقيد أو مغلول .

والثانى : الحزن وهو انهزام النفس أمام ألم غالب ، واستقبال الحياة كأنها خريف دائم ، والمحزون سجين يأسه وقعيد مآسيه وقلما ينهض بعمل كبير .

والثالث ، والرابع : العجز والكسل وهما — فيما رأيت — من آفات العالم الثالث ، ترى الرجل يخرج العمل من بين أصابعه شائهاً مقبوحاً ، وكان يستطيع إتمامه وتحسينه ، وربما فكر فى صلاة الاستسقاء والماء إلى جواره على مدى سهم !

وقد رأيت من يجلس واضعاً قدماً على أخرى قريباً من قمامة لا يفكر فى إزالتها أو تتساقط المياه حوله من « حنفية » معطوبة فلا يفكر فى إصلاحها !

إنها بلادة تنشأ فى نفس الفرد ، ثم تنمو فى أرجاء البيئة ،

فإذا أمم فقيرة تعيش فوق أرض خصبة ، أو أمم محجوبة الرؤية يطرق أبوابها الأجانب ليستخرجوا من تربتها أنواع المعادن السائلة والجامدة ! .

والخامس والسادس : الجبن والبخل ، وهما آفتان متلازمتان فالضنين بماله لا يجود بروحه ، أو الجواد بنفسه لا يبخل بماله . وكلا الرجلين لا يذوق طعم الحياة الرفيعة ، وكيف يتأتى هذا المذاق الجبان يعتذر عن هروبه بهذا الكلام : لأن يقال : فر لعنه الله خير من أن يقال : مات رحمه الله ! أو لبخيل يحصّن ثروته بإراقة حياته وابتذال نفسه ؟ .

والسابع والثامن : غلبة الدين وقهر الرجال . ونحب التنبيه إلى أن الاستدانة لأى رغبة عارضة ، مع العجز عن الوفاء لون من السرقة ، فإن السارق يتناسى حقوق الآخرين فى أموالهم ولا يذكر إلا إشباع نهمته الخاصة ، وكذلك كل من يستدين لغير سبب معقول ،

أما قهر الرجال فبلاء ينغص حياة الشرفاء ، ويرون الموت دونه

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ

صلوات الله على صاحب الرسالة الهادية الشافية ، واللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت . . .

الايمـــان غنى بأدلتـــه وحقائقه

يعرف المشتغلون بالثقافة الإسلامية أن شرائع الحدود والقصاص فرع من أصل قائم وركن جامع ، وأنها إذا انقطعت عن أصلها الذى انبثقت عنه أو ركنها الذى نهضت عليه أشبهت أطراف الجسم إذا انفصلت منه لسبب أو لآخر إنها لا تساوى شيئاً ! .

ولو أن دولة فى شرق أوربا أو غربها تبنت العقوبات الإسلامية ـ لأمر ما ـ ما اعتنقت بذلك الإسلام ، ما دامت باقية على عقيدتها أو فلسفتها ! إن ارتباط الشريعة بالعقيدة لا يمكن فكّه ولا التهوين منه ، ولذلك فإن إدارة أى حوار حول التشريعات الفرعية يكون ضرباً من اللغو إذا لم نجب بحسم عن الأسئلة الآتية : هل الألوهية حق ؟ هل لله وحى ملزم ؟ ـ هل الإنسان حرّ فى تجاوز مراد الله ؟ .

إن الذى يجهل من أين جاء ؟ ولماذا خلق ؟ لا معنى للحديث معه فى صلاة أو صيام . . . ومع ذلك فسأترك الحديث عن الإيمان وما يرتبط به من أنظمة خلقية خطيرة وتقاليد اجتماعية بعيدة الأثر وسأشارك فى أى حوار يُقترح حول القيمة الإنسانية لأى تشريع فرعى أو أى حكم فقهى ، يكون معلوماً من الإسلام بالضرورة ، بيد أن من حق الباحث المسلم أن يتساءل : هل هذا الحوار حرٌّ حقاً ؟ هل سيكون ختاماً لسياسة العصا الغليظة التى استخدمت عشرات السنين ، وأصابت الفكر الإسلامى بعاهات مستديمة ؟ إننى مستعد للنسيان وبدء صفحة جديدة أساسها الإقناع الحرّ ، إننى أومن بالحرية إلى أبعد مدى ، وعندما

أعجز فى ظلها عن بلوغ هدفى أعلن انسحابى من الحياة العامة ! إن الإيمان ليس فقيراً فى أدلته وحقائقه حتى يخاف الحوار ! لكنى أوجه سؤالا له ما بعده .

هل الديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه بنفسه إلا أن يكون مسلماً فإنه يجب أن يحكمه غيره بقوانينه وتعاليمه المستوردة ؟ وسؤال آخر يخرج من المنبع نفسه : هل القلة تنزل عن رأيها وتتبع الكثرة فى جميع البلاد الحرة إلا فى الأقطار العربية والإسلامية فإن للقلة أن تفرض نفسها بالقهر الإعلامى ، والسلطات المفروضة ؟ ثم تبلغ الجرأة حدّها الأقصى فيقال : إن ذلك تمّ باسم الشعب ؟

مرحباً بالحوار فى ظل الصدق ، والنزاهة ، وكرامة الأفراد والجماعات.

شهر الطعـــام لا شهر الصـــيام

أعلم أن رمضان حق ، وأن صومه فرض ، وأن قيامه مستحب ، وأن أوقاته أزكى من سائر العام ، ومن ثم استثيرت لها الهمم فنادى منادٍ من قبل الحق : ياباغى الشر أقصر ، وياباغى الخير هلمّ ! وعلى المؤمنين أن يفوزوا فى هذا السباق . . .

ولكنى عندما يقبل رمضان أشعر بالوجل لا من العبادات المفروضة بل من العادات السائدة ! فقد أبى المسلمون إلا تعكير رونق الشهر المبارك بما استحدثوه من أمور لا تصح بها دنيا ولا يصلح بها دين . .

المعروف أن الليل سكن للأنفس ، وأن السهر فيه قد يكون من شرطى يحرس الأمن أو جندى يحمى الثغور أو طبيب يرعى المرضى أو عامل فى نوبته لمواصلة الإنتاج ! والسهر فى رمضان إنما هو تهجد لمناجاة الله وقراءة كتابه والتسبيح بحمده والإعداد للقائه ! فما معنى أن يسهر المسلمون فى رمضان للتسلية الفارغة واللغو الطويل ، وما معنى أن تُعدّ لهم برامج خاصة كى يضحكوا ومن حقهم أن يبكوا أو يهدءوا ومن حقهم أن يشكوا ، ألا يحس المسلمون ضراوة العدو بهم ونيله الشديد منهم؟

إن نصف الأُمة الإسلامية يترنح تحت وطأة الاستعمار الصليبى والشيوعى ، والنصف الآخر يرى دينه منكور التوجيه فى أكثر من ميدان ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً . ففيم المجون والضحك ؟ .

ومعروف أن استهلاك الأغذية يتضاعف تقريبا فى رمضان ، وأن الحكومات توفر مزيداً من السلع لاستقبال الشهر ، وكأنما هو

شهر الطعام لا شهر الصيام . ويبدو أننا نجوع كثيراً لنأكل كثيرا وما شرع الله الصيام لهذا النوع من الفعل ورد الفعل ! إن شريعة الصيام تدريب على جهاد النفس والتحكم فى مطالبها ورغائبها وإخضاعها لضوابط الأمر والنهى وإشعار الإنسان أنه روح قبل أن يكون جسماً ، وعقل قبل أن يكون هوى وغرائز . . .

والحضارة المعاصرة نسيت هذه الحقائق كل النسيان ، وبنت سلوكها على إجابة النداء الحيوانى للأجهزة الدنيا فى البدن ، وعلى اعتبار الكبت — مهما شرف سببه — ضاراً بالإنسان ! ! ترى ما الفرق بين البشر وغيرهم من الحيوانات إذا كان الإنسان يفعل ما يحلو له دون أى اعتراض ؟ أرجو أن يقدم المسلمون سلوكاً فى رمضان يشرف هذه العبادة الرفيعة وتنتعش به الروحانية الذابلة فى عالمنا . . .

كيف ندعـو الى الاسـلام ؟

دخلت مكتبي فتاة لم يعجبنى زيُّها أول ما رأيتها ، غير أنى لمحت فى عينها حزناً وحيرة يستدعيان الرفق بها ، وجلستْ تبثنى شكواها وهمومها متوقعة عندى الخير !

واستمعت طويلا ، وعرفت أنها فتاة عربية تلقت تعليمها فى فرنسا لا تكاد تعرف عن الإسلام شيئاً ، فشرعت أشرح حقائق ، وأرد شبهات ، وأجيب عن أسئلة ، وأُفنِّد أكاذيب المبشرين والمستشرقين حتى بلغت مرادى أو كدت !

ولم يفتنى فى أثناء الحديث أن أصف الحضارة الحديثة بأنها تعرض المرأة لحماً يغرى العيون الجائعة ، وأنها لا تعرف ما فى جو الأسرة من عفاف وجمال وسكينة . . .

واستأذنتْ الفتاة طالبة أن آذن لها بالعودة ، فأذنت . . .

ودخل بعدها شاب عليه سمات التدين يقول بشدة : ما جاء بهذه الخبيثة إلى هنا ؟ فأجبت : الطبيب يستقبل المرضى قبل الأصحاء ، ذلك عمله ! ! قال طبعاً نصحتها بالحجاب ! قلت : الأمر أكبر من ذلك هناك المهاد الذى لابد منه ، هناك الإيمان بالله واليوم والآخر والسمع والطاعة لما تنزل به الوحى فى الكتاب والسنة ، والأركان التى لا يوجد الإسلام إلا بها فى مجالات العبادات والأخلاق . . .

فقاطعنى قائلا : ذلك كله لا يمنع أمرها بالحجاب . . قلت فى هدوء ما يسرنى أن تجيء فى ملابس راهبة ، وفؤادها خال من الله الواحد ، وحياتها لا تعرف الركوع والسجود إننى علمتها الأسس التى تجعلها من تلقاء نفسها تؤثر الاحتشام على التبرج .

فحاول مقاطعتى مرة أخرى فقلت له بصرامة : أنا لا أحسن جَر الإسلام من ذيله كما تفعلون ، إننى أشد القواعد وأبدأ البناء بعدئذ . وأبلغ ما أريد بالحكمة . . .

وجاءتنى الفتاة بعد أسبوعين فى ملابس أفضل ، وكانت تغطى رأسها بخمار خفيف ، واستأنفتْ أسئلتها . واستأنفت شروحى ، ثم قلت لها : لماذا لا تذهبين إلى أقرب مسجد من بيتكم ؟

وشعرت بندم بعد هذا السؤال . لأنى تذكرت أن المساجد محظورة على النساء ! لكن الفتاة قالت : إنها تكره رجال الدين ، وما تحب سماعهم ! قلت : لماذا ؟ قالت : قساة القلوب غلاظ الأكباد ! ! إنهم يعاملوننا بصلف واحتقار ! . . .

ولا أدرى لماذا تذكرتُ هندَ امرأة أبى سفيان التى أكلت كبد حمزة رضى الله عنه ونالت من الإسلام ما نالت ، إنها كانت لا تعرف رسول الله ، فلما عرفته واقتربت منه وآمنت به قالت له هذه الكلمات : « يارسول الله : والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب أن يذلّوا من أهل خبائك ! ! وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبَّ إلىّ أن يَعِزّوا من أهل خبائك » .

إن نبع المودّة الدافق من قلب الرسول الكريم بدل القلوب من حال إلى حال، فهل يتعلم الدعاة ذلك من نبيهم فيؤلفوا بدلا من أن يفرقوا، ويبشروا بدلا من أن ينفروا ؟ ؟ . . .

متى نستفيد بأخطــاء أعــدائنا

درست الهزائم الكبيرة التى أصابت أعداء الإسلام فى بدر ، وعند مكة عام الفتح ، وحزنت أن المشركين هم صانعوا هذه الهزائم ، وملحقوها بأنفسهم ! قلت : ما كان أغنى هؤلاء عن القتال فى بدر بعد ما نجت قافلتهم وفقدت الحرب سببها ! لكن الزهو والغرور لعبا بقادة الكفر فمضوا فى طريق البطر والرياء يقولون : لابد أن يسمع بنا العرب . وأن نقوم باستعراض للقوى يذل جانب الإيمان ويكسر أفئدة الداخلين فيه . فنشبت الحرب لغير ضرورة ، وكانت الكبرياءُ التى دفعت إليها هى القطرة التى فاض بها الاناءُ أو القشة التى قصمت ظهر البعير كما يقولون ، فإذا القوم يكسو وجوههم الخزى بعد ما غلت مراجل الغضب الإلهى وأنزلت بهم ضربة لا يمحوها اختلاف الليل والنهار! إن أخطاء البطلين لا تتبدد ، وإنما تتراكم فى سجل دقيق حتى إذا بلغت حداً معينا أحاط بهم أولها وآخرها ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتى وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ . وما حدث فى بدر حدث مثله فى غزوة الفتح ، فإن معاهدة الحديبية تفرض على الناس هدنة مدتها عشر سنين ، تستطيع دولة الوثنية خلالها أن تبقى كما شاءت ! لكن الفكر المتمرد على الله له سوْرات ينتحر بها وهو يحسب أنه ينتصر ، فقد أبى قادة الوثنية إلا إلغاء نص واضح فى شروط الهدنة ، وهاجموا فى الأشهر الحرم قبيلة كانت موالية للمسلمين ، فاستباحوها واستباحوا الحرم نفسه ، وعرفوا بعد فوات الأوان أنهم أخطأوا، وهيهات أن يفروا من

دفع الثمن لقد دفعوه بالاجهاز على دولتهم بعد عامين فقط من السنوات العشر التى ارتضوها هدنة عامة . . إن أخطاء أعداء الله كثيرة ، بيد أن السؤال الخالد: من الذى يستطيع استغلال هذه الأخطاء وتحويلها لمصلحة الحق ؟يستطيع ذلك مؤمنون ترشحهم خلالهم لوراثة الأرض والإمساك بزمامها على نحو أقرب للشرف والعدل وخشية الله،وكفار زماننا لا يقلون شراً عن أندادهم الأولين . ويظهر أن زمام الدنيا قد يبقى فى أيديهم زمنا أطول ! لماذا ؟ فى رأيى لانعدام الورثة الذين يصرفون شئون الناس بمواريث الوحى الأعلى ، إننا نحن المسلمين لم نستكمل بعد خلال القيادة الروحية والفكرية لجماهير البشر ، وسنن الله الكونية والاجتماعية لا تعرف المحاباة .

رقابة اللـــه أســـاس المسئولية

قال المدير العام لجمهور الموظفين : إننا بتوجيهات السيد وكيل الوزارة قد نفذنا القرار الصادر فى مدة وجيزة ، وبتكاليف قليلة . . .

وقال وكيل الوزارة فى اجتماع كبار الموظفين : إننا قد استلهمنا من روح الوزير الساهر على المصلحة العامة ما جعلنا نحقق الخطة الموضوعة فى زمن قياسى ، وبطريقة حكيمة . .

وقال الوزير المختص فى تصريح لرجال الصحافة : إن وزارتنا قامت بأعمال لا نطيل فى الحديث عنها.فسوف تكشف الأيام عن عظمتها وقد تم ذلك كله بفضل السيد رئيس الوزراء ، ويقظته التامة فى حماية حقوق الأمة . . .

وقال رئيس الوزراء : إننا وراء القيادة الحكيمة للسيد الرئيس وانطلاقاً من نصائحه الغالية قد حققنا لشعبنا العظيم ما ينشده من رخاء واستقرار .

وقال السيد الرئيس لرجال الاعلام الذين احتشدوا من حوله : إن الجماهير الواعية هى التى أمدتنا بالحماس والقدرة وإن شعبنا الطموح قد علَّمنَا أن نُثابر وأن نضاعف الإنتاج ، فالفضل للشعب أولا وآخرا . .

وذهبت للشعب أسأله بماذا أوحيت ؟ وأمليت ؟ فأجاب : لا أدرى شيئاً !

قلت : لقد تَبيَّن من هذه الإجابة أنك أنت المسئول عن كل ما

يحدث ! قال : كيف وأنا لا أدرى شيئاً . قلت : لأن كل المقررات الصادرة تقوم على عدم الدراية ، فجهلك هو السبب الرئيسى فى هذه السلسلة من ألوان الملق والكذب ، إن عدم درايتك هو الذى أتاح الظروف لكل هذه التصريحات الخاوية ، إنه الوالد الأول والأخير لها ، ولو كنت تدرى ما وقع شئ منها . . ! !

لماذا لا تقوم الأعمال فى أرجاء الأمة الإسلامية على رقابة الله وحده فى استقلال الشخصية ، وتحمّل كل امرئ مسئوليته بشجاعة واعتزاز ؟ إن العمل لاسترضاء الغير وتأسيس مكانة عنده هو لون من الشرك ، ألم يقل رسولنا : « الرياءُ شرك » ؟

الغريب أننى راقبت العمل فى ميادين أخرى ، وبين جماهير غير جماهيرنا . فوجدت كل امرئ يؤدى واجبه فى صمت ، ويستند إلى عمله وحده فى تقرير حقه وتثبيت كرامته ، دون تعويل على زلفى ، أو ذوبان فى رئيس ! . . .

خطـورة الخـلافات الفرعية

شهدت نزاعاً محتدماً بين فريقين من الناس ، أحدهما يرى الإسوار بالتأمين وراء الإمام والآخريرى الجهر به ! واقترح بعضهم الاحتكام إلىّ كى أضع حداً لهذا النزاع . . .

قلت : التأمين دعاءٌ . والمهم فيه الضراعة والرجاءُ ، فإذا اشتد النبض فى الدعاء فَعَلَا ، أو غلب التذلل فَخَفَتْ ، فالأمر سواء . . ! !

قال أحد السامعين وعيناه تبرقان : ما فهمنا شيئاً ! قلت له : نعم وأنتم أهل ذلك ، فأنتم تريدون إجابة ترضى شيطان العناد الذى ينفخ فى هذا الجدال الحادّ ، ويجعل منكم أعداء متدابرين ، وإذا لم يكن بد من إجابة فقهية فاعلموا أن الإسرار مذهب ، والجهر مذهب ، وكلاهما وارد ومأجور إن شاء الله .

وانصرف عنى الفريقان ضائقين ، وشعرت بالراحة لابتعاد أنفاسهم عنى . . بل شعرت بفقر أولئك الناس إلى المربّى الطويل البال ينقلهم إلى مستوى أرفع مما هم فيه من جلافة تعزلهم عن روح العبادة وأدب الصـلاة . . .

إن ذلك الخلاف الفقهى نموذج لعشرات من أمثاله تشغل الدهماء ، وتوقد الفتن وتوهى الأخلاق وتقطع ما أمر الله به أن يوصل . . .

ويخيَّل إلىّ أن هذه الخلافات الفرعية تشبه صور الجراثيم التى تعرض علينا فى كتب الصحة ويقال تحتها « ميكروب » مرض كذا مكبَّر ألف مرة ! !

وتكبير هذه الرسوم لمعرفتها مفهوم لكن ما معنى تكبير الفروق بين أفهام أو آراء لبعض العلماء ، حتى لتبدو وكأنها حقائق لملل متباعدة؟ إن نتائج ذلك كانت وخيمة على مجتمعنا الدينى فإن هذا التضخم المفتعل غطىّ مساحات واسعة كان يجب أن تشغلها الأخلاق التى لا تنهض الأمم إلا بها ، فبدل أن تشغل الجماهير بتكوين فضائل الصدق والأمان والوفاء والحياء . . . الخ شغلت بما تظنه أكثر أجراً وأعظم ذخراً .

وذلك وهم بعيد ، فإن فقدان الأخلاق يعنى امتداد النفاق ، وانتشار الفساد ، وضياع الأمم . . .

وعندى أن إشعال التعصب المذهبى كان خطة ماكرة لصرف العامة عن النقد السياسى ومتابعة الأخطاء التى أودت بالدولة الإسلامية قديماً! ويبدو أن الخطة لا تزال تُنفَّذ إلى الآن . . ! !

كيف ننقذ اقتصادنا ؟

للأمم المتخلفة أنماط من الترف تقبل عليها بنهم وتنفق فيها الكثير ويعرف المستعمرون ذلك منها فيأمرون مصانعهم أن تزيد فى إنتاجها حتى يشتد الإقبال ويتضاعف الكسب .

والواقع أن المسلمين عامة والعرب خاصة أخذوا من المدنية الحديثة جانبها البراق ، وكانوا معها مستهلكين لا منتجين ، بل لقد صُنِعت لهم سيارات خاصة ، وأدوات من الزينة ، أو أنواع من الأجهزة لا يستخدمها صانعوها أنفسهم لأنهم يرون ما دونها يغنى عنها .

أما نحن فنظن الارتقاء أو العظمة فى اقتناء هذه السلع ! وللطفولة العقلية منطق يستحق الزراية والتخويف ، وقد آن الأوان للمناداة « باقتصاد حرب » يقف هذا السيل من النفقات ، ويستغنى بصرامة عن هذه الفضول كلها ، ويلزم الكبار والصغار بأسلوب من العيش تقلّ فيه المرفهات ، ونستغنى عن استيراد الكماليات ونحيا فى نطاق ما ننتج فى بلادنا ، ونتحرر من إسار الحاجة ، ويعلم الناس أننا لسنا عبيد مآرب تافهة أو عادات سخيفة !

إن نصف ما نشتريه من الخارج يمكن الاستغناءُ عنه فوراً ! ونصف الباقى يمكن الاستغناءُ عنه فى أمد قريب ، وإذا لم نتعلم من ديننا ضبط شهواتنا فماذا نتعلم ؟

إن خصومنا شرعوا يتنكرون لنا ويضنّون علينا ، بل إن بنى إسرائيل

بنوا دولتهم بين ظهرانينا على أساس أنهم ينتجون ونحن نستهلك ! كأننا أطفال نحب اللُّعب الجميلة وندفع ثمنها لمن يصنع به السلاح الذى يقتلنا به . .

وقد لفت نظرى أن النساء فى الشرق العربى يتحلين بالجنيه الذهبى « جورج » وأن النساء فى المغرب العربى يتحلين بالجنيه الذهبى « لويس » والغريب أن النساء فى انجلترا وفرنسا لا يتحلين بهذه القطع الذهبية ! إنها تصنع لنا وحدنا ! .

ربما كانت للمسلمين أيام هارون الرشيد تقاليد سرف يخفف من شرورها أن الخليفة كان يقول للسحاب : أمطر حيث شئت فسوف يأتينا الخراج !

فما معنى بقاء هذه التقاليد والأمة الإسلامية فى أيام عجاف تسرّ العدو وتحزن الصديق ؟ يجب أن تتكاتف الجهود للعودة بالعرب والمسلمين إلى « اقتصاد حرب » يفرض عليهم الاكتفاء الذاتى فقد تداعت عليهم الأمم ، وإن لم يتماسكوا هلكوا . . !

إننى أرى السكارى والمدخنين فأشعر بغصّة أو أرى الأفواج المسافرة إلى الخارج للنزهة والمتعة فأحس الهزيمة ! وأرى الذين يتطلعون إلى الحطام الزائل بشوق ورغبة فأقول : إن حاجتنا ماسة إلى تربية صحيحة لنستنقذ ديننا ودنيانا . . .

باسم الاســلام يزينون الباطل

اجتمع رهط من الناس أطلقوا على أنفسهم أو أطلقتْ الصحف على كل واحد منهم « مفكر إسلامى كبير » ! مهمة هذا الرهط تدمير الإسلام من الداخل وتقرير أحكام ما أنزل الله بها من سلطان . !

وكان اللقاء هذه المرة عاصفاً ، لأنه للرد على متطرفين يطالبون من السلطة تحريم الخمر وإغلاق الحانات ! وهذا طلب يراه المفكرون الكبار جهلا بالإسلام !

قال كبيرهم : ألا يعلم أولئك المتطرفون ضرورة استقدام السائحين والحصول منهم على العملة الصعبة لتمويل المشروعات الكبرى ؟ إن الخمر ليست متعة شخصية فقط ، بل هى مصلحة قومية إذا اعترضتْ النصّ وقفته عن العمل ! وتعطيل النص للمصلحة مبدأ فقهى مقرر ! .

وقال مفكر آخر : إن الخمر المحرّمة هى المغشوشة بغاز الاسبرتو المسموم ، وهى التى قتلت جملة من السكارى المساكين ! أما الخمر النقية فلا حرج فيها ولا يجوز منعها ! . .

وقال مفكر واسع الاطلاع : ليس هناك نصٌّ على تحريم الخمر ، الناس مُخيرّون فى شربها أو فى تركها ! والقرآن بعد أن دعا لاجتنابها قال: « فهل أنتم منتهون » ؟ فلم يقطع بالمنع ! . .

وقال مفكر إسلامى آخر : التحقيق عندى أن المنع والإباحة

يرتبطان بنسبة « الكحول » فى المشروب فإن كانت قليلة كالبيرة الوطنية جاز شربها ! أما « الفودكا » الروسية و«الويسكى» الاسكتلندى فهى أشربة ينبغى الابتعاد عنها .

ومضى المفكرون الكبار يتحدثون عن التطرف الدينى وخطره على الجيل الصاعد ، وقالوا : نحن أصدق إيماناً وأعزُّ نَفَرًا ، وعلى استعداد لفتح الحوار مع من شاء لتعرية هؤلاء المتطرفين !

وفوجئ الناس بكُتَّابٍ ما صلَّوْا لله ركعة ، ولا أَدَّوْا له حقاً يتحدثون عن الحلال والحرام وتطبيق الحدود أو وقفها . . !

وقال أولو الألباب : أين علماءُ الدين يصدُّون هذا الإفك ؟ ويقررون الفتوى من أصولها المتفق عليها ؟ ويطلبون بحزم تحريم الخمور والمخدرات على سواء ؟ ولم نسمع جواباً !

إن الجُرآء على قول الباطل ما اكتسبوا جراءتهم تلك إلا لما لاحظوه على أهل الحق من خور وتهيّب ، نعم لا قيام للباطل إلا فى غفلة الحـــق . . .

أفريقيا مهددة بالتنصير

بابا روما يقود أكبر تجمُّع بشرى فى عالم النصرانية ، إذ أن أتباع الكنيسة الكاثوليكية أضعاف الكنائس الإنجيلية والأرثوذكسية ، وجهازهم التبشيرى شديد الدقة واسع الدائرة . . .

ومن بضع سنين أعلن بابا الفاتيكان عزمه على تنصير أفريقية كلها مع نهاية القرن العشرين أو بتعبير أضبط جعل النصرانية هى الدين الأول فى القارة القديمة ، والمعروف أن الإسلام هو الدين الأول فى هذه القارة ، تليه الوثنية ، تليها المسيحية بشتى طوائفها . .

وتبذل الطوائف المسيحية جهداً جباراً لبلوغ هذا الهدف ، وهو جهد تدعمه الدول الناطقة بالفرنسية والإنكليزية ، وتنظر إليه الدول الأخرى على أنه شيءٌ طبيعى ، وهى إن لم ترحب به فلن تضع عائقاً فى طريقه . .

وبابا الفاتيكان الحالى من أنشط رجال التبشير وأوسعهم حيلة وألينهم مقالا وأذكاهم خطة ، ومع شيخوخته فهو ينطلق من معقله شرقاً وغربا ليشرف بنفسه على تحقيق أهدافه ، ويلقى التقدير العميق حيث حلّ ، وقد راقبت زياراته المتكررة لقارة أفريقية وأدركت دون عناء أن الرجل يريد الاطمئنان إلى مستقبل الخطة التى وضعها ، وفى سبيل ذلك يتنقل ويخطب فى المسلمين والنصارى وغيرهم ، وهو لطيف العبارة ذكى الإشارة يتخلص من المشكلات بلباقة ويؤدى واجبه فى خدمة التبشير المسيحى بمهارة ملحوظة . . .

قلت لنفسى : ماذا لدينا بإزاء هذا الموقف ؟ وأعترف بأننا — فى

خير أحوالنا ــ أصحاب ردود أفعال ، ولسنا أصحاب أفعال إيجابية .
أى أننا قد نتحرك إذا تحرك غيرنا وشممنا رائحة الخطر ، وقد نتبلد
حتى تقع الكارثة !

ماذا أعددنا وديننا مهدد بالانقراض أو الانحسار فى قارة كبيرة ؟

الأمة التى قيل لها :﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . . . ﴾
ليس لها جهاز عالمى للدعوة إلى الخير ، وإذا صنعت على الورق أجهزة
لم يوجد الرجال الذين ينفخون فيها من قلوبهم روح الحياة والانطلاق !
لماذا ؟ هل نضب معين الإسلام ؟ كلاَّ ما نضب ولن ينضب . .

إن الأخدود الغائر بين رجالات الدعوة ورجالات السلطة يجب
ردمه على عجل حتى يوجد الرجال الذين يملأون الفراغ المخيف . كانت
الخلافة العظمى مسئولة عن مستقبل الإسلام والمسلمين حيث كانوا ،
وظاهر أن دفن هذه المسئولية جزءٌ من مخطط إسقاط الخلافة ، وترك
المسلمين دون انتماء ولا حماية ولا تناصر على حين يحظى غيرهم
بالانتماءِ والحماية والتناصر . .

الحـــاقدون على الشريعة

أكره المغالاة والتطرف فى شئون الدنيا والدين على سواءٍ ، وليس ذلك خليقة خاصة لى ! ولكنه مسلك يلزمنى به الإسلام ، وقد أحمل نفسى عليه حملا إذا رأيتها تنزع إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار . .

ومعنى ذلك فإنى أحب الاعتدال ،وأطلبه من غيرى تجاوبا مع دينى ! لذلك شعرت بالاستنكار عندما قرأت كلمات لبعض الكاتبين ظاهرها الحملة على التطرف وباطنها الحملة على الإسلام نفسه والدعوة إلى وأد أحكامه وتجريد الحياة العامة من سماته !

قد يرفض البعض أن تسير مظاهرة تدعو إلى تحكيم الإسلام ، لأن المسيرات الغاضبة وسائل غير مأمونة ، ولأن العمل للإسلام يتطلب طرقاً أحكم وأجدى ، ولأن البناء الجاد للعقائد والأخلاق والشرائع يتم فى صمت وأناة ! لا حرج من الاعتراض على هذه الوسيلة أو تلك ! فهل الاعتراض الجائز ذريعة لشتم الإسلاميين والزعم بأن العودة إلى الإسلام نكسة حضارية ونزعة همجية ؟ ؟

أعرف أناساً ما عرفوا طريقاً إلى المسجد يوماً ، ولا غضوا أبصارهم عن الدنس لحظة ، انتهزوا الفرصة العارضة وشرعوا يهاجمون الإسلام نفسه بدعوى مهاجمة التطرف ، أى أن تحريم الخمر والخنا ،وقطع دابر اللصوصية والفوضى أمور هى من التطرف المعيب وليست من أركان التقوى ومعالم الوحى الحق ! ! .

والذى جَرَّأ هؤلاء على الإسلام وكشف عن ضغائنهم ما شاع من أن القوى الكبرى المعادية للإسلام قررت مخاصمة العودة إلى التشريع الإسلامى ، وهددت من يفعل ذلك ! وتلك إشارة البدء بالهجوم على الإسلام كله واقتلاعه من جذوره !

قلت : التاريخ يعيد نفسه ، ففى صدر الإسلام تابع المنافقون أعداء الأمة فى كراهية الوحى ورفض أحكامه فنزل فيهم قوله تعالى : ﴿ .. ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾وقوله جل شأنه ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ . . .

لقد خرجت الأفاعى من جحورها تتحدث عن الإسلام بحقد غريب ! ولما كانت الدساتير الموضوعة تقرر أن الإسلام دين الدولة والمصدر الرئيسى لتشريعها فلا مناص من دفع أولئك الحاقدين بأنهم يريدون نقض البناء الاجتماعى لحساب قوى خارجية ، وأنهم يقترفون جريمة الخيانة العظمى ، أو بتعبير الإسلام الحنيف يرتكبون جريمة الارتداد !

إن محاربة التطرف لن تكون أبداً سبيلا لمحاربة الإسلام نفسه ولن ندع هؤلاء يمضون فى عبثهم الشائن . .

كيف نحتفى بمن يهددنا بالموت ؟

أكّد « حايم وايزمان » فى المذكرات التى نشرها أن وعد انجلترا بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين لم يكن عملا سياسياً مجرداً ، بل كان توكيداً لعاطفة دينية عميقة ، وأن « لورد بالفور » الذى أصدر هذا الوعد كان يترجم عن إيمانه بالعهد القديم . ويباشر تحقيق النبوءات التى وردت به . .

وهذا كلام صحيح يسجله أول رئيس لإسرائيل ، وقد كان تعليق العرب عليه أن من لا يملك أعطى من لا يستحق !

واكتفوا بهذا التعليق دون أن يتعرفوا أو يستكشفوا المشاعر الدينية التى تكمن وراءه ! وليس هذا أول تقصير للعرب فى دراسة خصومهم وأصدقائهم .

وقد مضت عشرات السنين على القرار الصادر بتهويد فلسطين ، أُبيدت فيها قرى عربية ، وحُصدت آلاف الأرواح سراً وجهراً ، ومُحيت معالم تاريخ ، وحلّ لقب العربىّ التائه مكان اليهودى التائه ، وتعاون ذهول العرب مع ضغائن الدول الكبرى على إحقاق الباطل وإبطال الحق ، وتشريد المواطن وتوطين المشرّد .

وقال ساسة الدول الكبرى : خلقت إسرائيل لتبقى ، وليذهب العرب إلى الجحيم . .

ومع ذلك كله أبى العرب أن يقولوا : إن التعصب الدينى وراء هذه السياسة ، وإن الغارة الجديدة استئناف للحروب الصليبية الأولى.

لا أدرى أهذا جهل أم تجاهل ؟ أهو غباءٌ أم تغابٍ ؟

ولكن هل يصحّ أن يبقى شيء من هذا بعد ما قاله الرئيس الأسبق للولايات المتحدة كاشفاً عن نيته نحو العرب والمسلمين ؟

كتب الأستاذ أنيس منصور : « يحتفل العالم بمرور أربعين عاماً على استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان ، وفى هذه المناسبة الحزينة طلع علينا الرئيس « نيكسون » يقول : « إنه كان سيلقى قنبلة ذرية على السويس أو بورسعيد أو القاهرة بعد انتصارات حرب أكتوبر لأن هزيمة اسرائيل أمام مصر تعادل هزيمة أمريكا أمام اليابان ، وأمريكا لا تسمح بشيء من ذلك . . ! !

هذا السفاح الأمريكى نيكسون هو الذى لقى فى مصر أعظم استقبال لرئيس أجنبي . . . إن الجماهير الطيبة التى خرجت لاستقباله هى التى كان يريد القضاء عليها بقنبلة ذرية .

أنا لم أستغرب كثافة الشر فى نفس نيكسون أو غيره من رؤساء العالم الشيوعى أو الصليبى ، إنه وليد ضغائن تتنامى من ألف عام تستنكر علينا نحن المسلمين حق الحياة ، وتريد أن تذيقنا ألوان الحتوف . .

الذى استغربه بلاهة من استقبلوا نيكسون بحفاوة ، ومن نظموا له هذا الاستقبال . . .

اهانة الاســلام فى الصحف الأجنبية

أطلعنى بعض الشباب وهو غاضب على صور مستغربة فى مجلة فرنسية ، وقال لى : يجب أن تردوا على هؤلاء المجرمين ! فهدأت من هياجه وقلت له : ما هذه الصور ؟ فأخذ يشرح لى وأنا أعجب ، هذه صورة محمد – عليه الصلاة والسلام – فى سمت تخيله رسام سكران . وهذه صور أصحابه الأقربين . . . وإلى جوارهم ركام متناثر من الجثث إشارة إلى انتشار الإسلام بالسيف ! وتلك صورة أخرى تمثل النبي الكريم وهو يخطب فى حجة الوداع وتحتها منظر يمثل جنون التدين ! ورأيت صورة لباب الكعبة وفى أسفله صورة لشهادة بأن امرأة حجت وطافت وسعت . . الخ فى إطار يذكر الناظر بصكوك الغفران التى يصورها قديما بابوات روما . .

وقد أخذت لنفسى بعض هذه الصور ، وكنت ضائق الصدر بالإسفاف الذى كتب معها وشعرت بأن حقد الأوربيين على محمد ودينه يتفجر من منبع لا يغيض أبداً . . قال الشاب : جزاء سيئة سيئة مثلها ، ردوا على هؤلاء المعتدين ! وفكرت ماذا أفعل. إننا معشر المسلمين نكن احتراماً عميقاً لموسى وعيسى ومريم وسائر أنبياء الله ! ! وحتى لو كان خصومنا يعبدون الأصنام والأبقار فنحن منهيون عن سب آلهتهم – مهما كان بطلانها – ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم .كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ لكن إصرار أعداء الإسلام على النيل منه بأسلوب الرعاع يزيد ولا ينتقص ، وقد أخذوا يطلقون أسماء مقدساتنا على بعض

مباذلهم . . . ! وما نعجز عن قمع هؤلاء وتمريغهم فى القذى ! نعم نستطيع دون أن نكذب تصوير ما يشيعون ـ أعنى ما يتلون ـ من تهم هابطة لنوح ولوط وداود وسليمان . . الله يعلم أنهم فيها كذبة ، وأن أنبياءه منها أبرياءُ . ويستطيع الغاضبون عندنا أن يطلقوا أسماءً معينة على أماكن تخدش الحياءَ . . . بيد أننا نكره التدلّى إلى هذا المنحدر ونحب من رجال الدين فى أوربا أن يتراجعوا عن خططهم فى إهانة الإسلام ونبيه .فالبغى مرتعه وخيم ، وتصوير محمد فى زى رعاة البقر من الهنود الحمر لن يغض من أمجاده فى الأولين والآخرين ، وأعرف أن ملاحدة شرعوا يكتبون أسماءً موقرة على سلع مهينة ، وعقبى هذا الطيش مروعة ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ . . .

لماذا نلوم أعداءنا ولا نلوم أنفسنا

من عشرين سنة تقريبا أرسل « عيدى أمين » الرئيس الأسبق لأوغندا إلى الشيخ الجليل الدكتور عبد الحليم محمود يطلب منه المعاونة فى تكوين مجلس أعلى للشئون الإسلامية بأوغندا ، واستجاب شيخ الأزهر لهذه الرغبة فأرسل وفداً يتكوّن من الدكتور محمد بيصار وكيل الأزهر ومنى أنا وكنت مسئولا عن الإدارة العامة للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف !

كنت أظن أوغندا بلدا شديد الحرّ لأنها على خط الاستواء ، وعرة الأرض صعبة المسالك ! ثم أدركت أنى كنت شديد الخطأ لقد تأملت – وأنا فى الجو – ما تحتى ، فما وجدت بقعة جرداء ، كانت الخضرة الجميلة تكسو كل شىء ، فلما نزلنا أحسسنا نسائم الربيع تهب علينا ، وبين الحين والحين يتساقط مطر خفيف يغسل كل شىء ، وتذكرت قول الشاعر :

فسقى ديارك غير مفسدها . صوب الربيع وديمة تهمى !

ثم تجاوزت هذا الاعتناء بالمكان إلى الاهتمام بالسكان ، فذاك ما جئنا من أجله .

المسلمون والنصارى هنا سواء فى العدد ، ولكنهم ليسوا سواء فى الكيف ، فالعلم والتقدم والغنى تكاد تكون السمة البارزة للمسيحيين ، والفريقان معا يكونان خمسى السكان ، أما الكثرة الباقية فهى من القبائل الوثنية . . .

وكان وجود عيدى أمين نذير شؤم للتبشير ، كما كان وقفاً لسياسة تأخير المسلمين ، وتعريضهم للجهل والفقر والمرض !

وكان الرجل صارماً فى مطاردة قطاع الطريق ، ومثيرى القلق هنا وهناك ، ولم يكن مع إسلامه الشخصى متعصبا ضد أحد من الكاثوليك أو البروتستانت ، بل كان واضح الإنصاف ، يعطى كل ذى حق حقه !

العيب الأول فى الرجل أنه كان مسلماً ، وكان رياضياً يتصف بالشجاعة والصراحة ، وقد تجاهله الساسة العرب ذوو الخبرة . وتركوه لمؤامرات الاستعمار العالمى التى أفلست فى تقليب الأمور عليه من الداخل ، فساقت إليه جيوشاً من الخارج أودت به !

فماذا حدث بعد ذهابه ، والإتيان بسلفه ؟ سمعت الرئيس الأوغندى الحالى يقول : إن أوغندا فقدت نصف مليون قتيل فى الاضطرابات الأخيرة !

نقول : وذلك عدا مئات الألوف من اللاجئين الهاربين إلى السودان وغيره من حرب الإبادة التى شنت عليهم فى صمت ، وسكتت عنها أجهزة الإعلام الأجنبى ، كما سكتت عنها أجهزة الإعلام العربىّ ! !

كان الخطأ الذى يرتكبه عيدى أمين ينقل مضاعفاً ، وتضم إليه افتراءات لا حصر لها ، حتى ظن الظانون أن الزعيم المسلم من مصاصى الدماء . .

ثم جاء من بعده من أزهق الأرواح بغزارة ، وملأ الأرجاء بالفوضى والأثرة والتعصب دون أن ينبس أحد ببنت شفة ! من نلوم ؟ أنلوم أعداءنا ؟ أم نلوم أنفسنا ؟

تزويــر التــاريخ

أحياناً أرى بعينى وأسمع بأُذنى كيف يزوَّر التاريخ وتستخفى الحقيقة ويُخدع الناس ! فأقول : إن الأجيال المقبلة معذورة عندما تضل السبيل وتتبع الأباطيل !

ألا يطول عجب الإنسان عندما يسمع ساسة الغرب الكبار يقولون للعالم أجمع : نحن نرفض الإرهاب الدولى وسوف نقاومه بكل سلاح. يقولون ذلك للفدائيين الذين يدافعون عن أرضهم وعرضهم ! والذين يقاومون بالسلاح التافه أفتك أسلحة العالم ، والذين تلتف بهم مؤامرات الثعالب والذئاب وخيانات الأقارب والأباعد فلا يلتفظون أنفاسهم إلا بشقّ النفس ، هؤلاء العرب المحروبون يوصفون بأنهم إرهابيون ! ومن يصفهم بذلك ؟ ساسة أوروبا وأمريكا الذين صنعوا المأساة كلها ولا يزالون يصنعونها ، والذين استقدموا اليهود إلى فلسطين لينبذوا أهلها بالعراء ويحتلوا هم البيوت التى أقفرت من أصحابها ، والذين يصرون على إمداد اليهود المغيرين بالسلاح حتى يكونوا أقوى من الدول العربية كلها ، ولو صارحوا بطواياهم لقالوا : حتى يكونوا أقوى من مسلمى العالم أجمع . . .

هؤلاء المدحورون المحرجون إرهابيون ! أما قتلتهم ومغتصبو أرضهم ودورهم فهم مساكين يحتاجون إلى ضمانات مجلس الأمن ، وحماية الدول الكبرى . . .

لا أزال أذكر قصة الطائرة الأمريكية المختطفة ، أصل القصة

معروف .فإن اليهودعندما انسحبوا من لبنان اختطفوا نحو سبعمائة شاب من مسلمى البلد الممزق ، وحبسوهم فى سجن « عتليت » وصرخ الأهل والأصدقاء يطلبون ترك المخطوفين فما رقّ لصراخهم أحد ، إنهم سيقضون بقية أعمارهم فى ظلام السجون . . .

وغضب نفر من أولى النجدة والحمية ، واختطفوا الطائرة الأمريكية وأعلنوا أنهم لن يدعوا مَنْ فيها حتى يتحرر الأسارى من سجن « عتليت » وراقبت ما يقع لأدرس أحوال الناس ، كانت الشتائم تنهال على رؤوس الإرهابيين الخاطفين وتنعتهم بأقبح الأوصاف وكان غضب الولايات المتحدة يغلى ويفور ، والرئيس « ريجان » يرغى ويزيد . . .

وقال الخاطفون أفرجوا عن إخواننا نفرج عن إخوانكم . .وإلا .

وتراجع الجبناء ، وسكت الخطباء ، وخرج من سجن عتليت الأحرار الذين تكسّرت قيودهم ، وعادت الطائرة إلى أصحابها . . ! !

الشىءُ الذى يدعو للتأمل أن أحداً لم يلم اليهود على استرقاق المئات ، ولم يعْتب على الولايات المتحدة سكوتها المهين على تلك الجريمة وعشرات أمثالها لأنه لا كرامة للعرب خافوا أم أمنوا ؟ رضوا أم سخطوا؟

الصيحات التى تدوى كالرعد هنا وهناك هى : قاوموا الإباء العربى الرافض للضياع ، إنه إرهاب كريه ، إنه إرهاب دولى ! إن الضحية التى تقاوم الجزارين يجب أن تتكاتف ضدها سكاكين المعتدين . . .

نحـــن وحدنا المرضى بالســماحة

عندما طعن عمر بن الخطاب وهو يتأهب لصلاة الفجر علم وعلم الناس معه أنه ميت لا محالة.فإن الطعنات كانت نافذة مزقت الأمعاء فإذا تناول شراباً خرج من البطن !

ورأى أمير المؤمنين قبل أن يودّع الحياة أن يوصى الخليفة بعده بأمور ذات بال ! إنه لا يعرف مَنْ سيختار المسلمون ! ولكنه يعرف ما يجب أن يفعله الرجل الذى يليه فى حكم الأمة !

فذكر طوائف من المسلمين لها منزلتها ، ثم قال للخليفة المرتقب « . . . وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله – يعنى ما يسمَّى فى عصرنا بالأقليات الدينية – أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا إلا طاقتهم » ! !

تريثت طويلا وأنا أقرأ هذه الوصاة ! خليفة نبىٍّ كريم يوصى وهو يموت بمخالفيه فى الدين ومعارضيه فى المعتقد ، فيصفهم أولا بأنهم ذمة الله وذمة رسوله متناسياً الخلاف القائم فى أصل الإيمان ، ثم يطلب من الحاكم المقبل ثلاثة أمور محددة (١) الوفاء بعهودهم (٢) إقامة سياج يمنع كل عدوان عليهم ، وفى سبيل ذلك يقاتل دونهم أو كما جاء فى النص « يقاتل من ورائهم » (٣) لا يكلفون إلا بما يطيقون .

هل وعى تاريخ العالم إلى يوم الناس هنا أشرف من هذه المعاملة ؟

وهنا أطرح سؤالا بماذا قوبل هذا المسلك النبيل ؟ فتحت التليفزيون

الجزائرى فإذا أمامى صور متتابعة لمقبرة جماعية احتوت على هياكل عظمية لأكثر من مائة شهيد ، قال المذيع هذا الهكيل مُشوَّهٌ من التعذيب، وهذا قطعت يده قبل الموت ، وهذا الهيكل الكبير المنحنى على آخر صغير هو لأُم تحتضن ابنها ! والجميع عرايا لا ملابس ولا أكفان ، وأدوات التعذيب مبعثرة هنا وهناك .

إن هذه المقبرة أصغر من سابقتها التى تحدثت عنها من قبل والتى ضمت ألفين من المسلمين .

وعندما أشحت بوجهى عن المنظر الكئيب لم ألبث طويلا حتى سمعت أخبار لبنان ، وكيف يتعاون الانعزاليون — كما سمَّوْهم — مع المغيرين فى إفناء اللاجئين ، وإخلاءِ الأرض منهم . . .

إن أعداءَ الإسلام يتنادون من قريب ومن بعيد : الويل للمغلوب ! خيِّل إلىّ أننى أَسمع نداءَ وحوش فى البرارى تطلب دمنا . . ! قلت لصاحبى : يظهر أننا وَحْدَنا المرضى — بالسماحة ، إننا وحدنا الذين نحسب الخلاف الدينى لا صلة له بالأَحقاد !

ترى هل أيقظتنا الأَحداث ؟ أما يجب أن نحذر الأَفاعى وأولا د الأفاعى ؟ ؟

عظماؤنا ظلموا أحيــاءً وامواتا

القارئ المسلم فقير إلى مراجع قريبة تعطيه فكرة حسنة عن تاريخ آسيا الوسطى وانتشار الإسلام فيها ، وندرة هذه المراجع تكشف عن تقصيرنا المعيب نحن العرب فى الثناء على من خدموا الثقافة الإسلامية وأسدوا إليها يداً طولى ، بل فى الإشادة بأقوام هرعوا لنجدتنا فى الأيام العصيبة من تاريخنا ، وكانوا قاعدة انتصارنا على الصليبيين والتتار ، وغسل عارهم عنا . . . لذلك أقبلت على قراءة العرض الأمين الذى قدمه الأستاذ نادر خالد نصره للكتاب الذى ألفه فى هذا الموضوع الكاتب الروسى « يورى الاسكيروف » . ومنه عرفت أن الاسكندر المقدونى كان أول فاتح كبير لهذه البلاد ، وأنه دمر مدنا بأسرها ، وأباد أجناساً كانت تفرّ من أمامه فلم ينقذها الفرار من الهلاك الشامل على يد القائد الوارث لفلسفة الإغريق . وكان آخر الفاتحين – قبل الغزو الروسى « تيمور لنك »، الذى أحرق عواصم شتى فى اندفاعته المشهورة نحو الشام ومصر . أما القائد الإسلامى العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى فإنه كان أضوأ عبقرية وأرشد سياسة ، وأحكمهم خططاً وأشد الفاتحين اقتصادا فى سفك الدم ، يقول عنه الكاتب الروسى : « إن المحتلين العرب استخدموا سياسة فرق تسد ، واستغلوا التناقضات بين الفلاحين والقبائل التركية الرحالة فخضعت لهم المناطق واحدة تلوا أخرى ». ويقول الاستاذ المعلق :«إن أراضى ما وراء النهر فتحت دون إهدار للدماء باعتناق السكان للإسلام وقد وقعت بعض الاشتباكات والانتفاضات استطاع القائد المحنك والسياسى البارع قتيبة أن يقضى عليها ». . .

ومع ذلك فإن الكاتب الروسى نوه بعظمة الإسكندر اليونانى ، وتجاوز بطشه الوحشى ، كما تجاوز قسوة تيمور لنك ، وصبّ جام حقده على القائد المسلم قتيبة فوصفه « بأنه خبيث وقاس وفاسد »

إن هذا التعليق الماركسى أثار أشجانى ، وهو نابع من ضغائن متوارثة ضد الإسلام لا ينساها الأوربيون أبدا ! .

أما الشجن الذى ثار فى نفسى فهو لمصرع قتيبة نفسه بعد بلائه الطويل فى خدمة دينه ، أحاط به كمين غادر وظل يناوشه وحيداً حتى أثبتته جراحه فمات شجاعا ، واجتز رأسه ليرسل إلى سليمان بن عبد الملك.

قال المسلمون من أهل ما وراء النهر حين قتل قتيبة : يامعشر العرب كيف فعلتم هذا ؟ والله لو كان قتيبة منا ثم مات لجعلنا جسده فى تابوت فكنا نستفتح به فى قتالنا لعدونا . . .

لكن البطل العظيم قتل مظلوماً فى العصر الأول ، وشُتم بريئاً فى العصر الأخير ، وما أكثر المهانين من رجالنا الذين ظلموا أحياءً وأمواتاً ! أكذلك نجازى عظماءنا ؟ إلى الله المشتكى . .

تراثنا وكيف نستفيد منه ؟

سمعت محاضراً شيوعياً يقول بخبث : إن الإسلام أنصف الجماهير لكن علماءه ـ بَدْءاً من الغزالى مالأُوا الحكام وأغضوا الطرف عن مظالمهم .

وشاء الله أن أكون حديث عهد بقراءة رسائل الغزالى إلى ملك خراسان وما وراء النهر،يوصيه بالعدل ويخوفه من الله وعقابه ، فقلت المحاضر : اسمع هذه العبارات لأبى حامد وقل لنا رأيك « . . . ياملك إن آباءك ألب أرسلان ، وطغرل ، وسلطان ماكشا . يقولون لك من تحت الثرى : إياك إياك ! لو تعلم ما حلّ بنا ، وأىّ الأهوال رأينا لن تنام ليلة شبعان وفى رعيتك جائع ، ولن تلبس برغبتك ثوباً وفى رعيتك عريان ! ! وما تبقّى لك من مال يعرض عليك وتسأل عنه يوم القيامة وفق نصيحة القرآن ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره،ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وسترى جميع أعمالك ذرة ذرة . . »

ويقول للملك « . . . عندما توقف للسؤال موقف المؤاخذة ويسألك رب العزة : ماذا فعلت بعباده الذاكرين لكلمة لا إله إلا الله ، الذين جعلناهم رعيتك ؟ لقد اهتممت بمواشيك،وغفلت عن عبادنا ، وحرمة المؤمن عندنا أعظم من حرمة الكعبة ! ثم يقول الغزالى للملك الإسلام على عهده : فما عندك من الجواب على هذا السؤال ؟ . .

ثم يقول له : إن أهل طوس فى أزمة شديدة ، قد أهلكهم الجفاف واستأصل كل الأشجار المثمرة ، ارحمهم يرحمك الله فقد انحنت

أعناقهم من البلاء والجوع ، مَاذا يكون إذا خفَّفْتَ من ثقل أطواق الذهب فى أعناق مواشيك ، وأنفقت على أولئك المساكين . . ؟ . .

ويقول الغزالى بعد ذلك عن نفسه : ليست لى حاجة خاصة إننى أعرضت عن الخلق ، وجلست فى زاويتى اثنتى عشرة سنة ، وقد ألزمنى « فخر الملك » بالمجيئ إلى نيسابور ، وأنا أريد العودة إلى زاويتى الآمنة . . الخ .

سألت المحاضر الشيوعى :« أكان من رجال الدين فى روسيا أو فى أوربا كلها من وجّه لملوكها هذا النصح العارى الموجع » ؟ إن الشعوب الإسلامية ما اعترفت بالإمامة فى الدين لرجل أعرض عن قول الحق ونُصْحِ أصحاب السلطة .

وتاريخ علماء الإسلام الكبار شاهد صدق على ما نقول .

قال لى أحد السامعين : كنت أكره أبا حامد قبل الآن حتى سمعت هذه النقول ! قلت لماذا تكرهه ؟ قال : لأنه من أهل التأويل ! فأجبت : نحن نجمِّد من تراثنا ما يجب تحريكه ، ونحرِّك ما يجب تجميده ونجنح إلى ما يثير الخلاف ، وعصرنا يتطلب منا موقفاً أرشد فى خدمة رسالتنا المضطهدة ! ! . . .

تصــور مكذوب على الاسـلام

بعض الآيات يحتاج إلى تدبر وأناة حتى يتضح المعنى ، لا سيما إذا كان الخطأ كبير الضرر فى الحياة الاجتماعية ! يقول الله سبحانه ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾ .

إن هذه المقارنة ليست بين نقيضين متقابلين ، فرب محروم من المال والبنين لا آخرة له ، ورب مستمتع بالمال والبنين له عند الله الدرجات العلى . . !

والعامة تتصور أن من أوتى المال والبنين لا مكان له عند الله ، أو أن مكانته هابطة بقدر ما أوتى فى الدنيا من خير ، كأن الصعلكة شرط لدخول الجنة ، والظفر بالعاقبة الحسنة !

وهذا تصور مكذوب على الإسلام ، وقد شاع فى بعض الأجيال فهبط بمكانة الأمة والدولة وأضاع الدين والدنيا جميعاً . . .

الذى يرفضه الإسلام هو الجشع ، وشدة النَّهْمَةِ إلى الحياة ، والذهول عما وراءها ، وعدم الإعداد له ! أما إذا رزق المرءُ مالا ممدودا ، وثراءً عريضاً فدعّم بغناه مكانة أمته فى عالم الاقتصاد ، وأَفْضَلَ على مَنْ دونه فسدّ ثغرات وستر عورات ، فإن حوله وطوله يحسب من الباقيات الصالحات .

ومثل هذا الرجل قدوة تحتذى ، بل أمل منشود ، ومنزلة ترجى ، وهو يُحسد على مكانته تلك ، كما جاء فى السنة الصحيحة . .

وليت للمسلمين أعداداً ضخمة من هؤلاء الأغنياء الموفقين ، الذين تحتمى بهم الدعوات ، وتستند إلى بذلهم ومواساتهم !

إن هذا الصنف العالى شىءٌ آخر غير الصنف الذى جاءت فيه الآية ﴿ ولا تمدَّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربِّك خير وأبقى ﴾ فهذا القبيل من الناس نسى الله ، ولقاءه ، وغرق فى المتاع الفانى فما ادَّخر لغده شيئاً ، وربما نظر إليه فقير مؤمن فانخدع ببشاشة النعمة عنده ، وتبرم بضيق ذات يده ! فنُهى عن هذا النظر القاصر ، وزُجر عن تلك الخدعة التافهة . .

وقد رأيت بعض الجهال الذين لا يجوز لهم الكلام فى الإسلام يرجمون المجتمعات بآثارٍ ما فهموها ، وما يدرون شيئاً عن ملابساتها ودلالاتها يقول للناس : إن الأغنياء أكثر أهل النار ، وإن النساء أكثر أهل النار ، يَعْنون أن الغنى جريمة ، وأن الأنوثة جريمة ! !

وهذا لغو مقبوح الفهم والآثار ، وقد آن للأمة أن تبرأ منه ، وأن تنصح قائليه بالصمت والتوبة .

منزلة المـــرأة فى الاســـلام

شكت لى سيدة فضلى أنها سمعت خطيب الجمعة يقول : رحم الله عصرا كانت المرأة لا تخرج أبدا إلا ثلاث مرات ، من بطن أمها إلى الدنيا ، ومن دار أبيها إلى الزوج ، ومن دار زوجها إلى القبر ! ! ! قالت : أذلك ما يصنعه لنا الإسلام ؟ فأجبت بأن الخطيب وقع تحت ضغط الفساد الذى وفدت به الحضارة الحديثة . فقال ما قال ، وكان غير موفق فإن الانحراف لا يداوى بالانحراف . .

إن للمرأة أن تخرج للصلوات الجامعة خمس مرات فى اليوم ، ولها أن تخرج إلى حوائجها فى الأسواق والمحال التجارية ، ولها أن تخرج مع الجيش إذا كانت لديها مهارة عسكرية أو طبية أو هندسية ، والعصر الذى نترحم عليه أو نقتبس منه هو عصر النبوة ، فهو خير القرون يقيناً ، أما عصور الانحراف أو الجهالة فلا يقاس عليها ولا ولا يُتَأَسى بها . . .

والخطيب المذكور رأى إنهيار الأسرة فى الغرب ، وضيعة الأولاد ، وانتشار الدنايا فقال ما قال . . .

وخير من مقولته أن ينقل بأمانة وضع المرأة المسلمة كما رسمه القرآن ، وأوضحته السنة الشريفة .

كتب الزعيم السلفى العظيم عبد الحميد بن باديس عن « الربيّع بنت معوّذ » فقال إنها حضرت بيعة الرضوان وكانت ممن يغزون مع النبى

صلى الله عليه وسلم مع نساء أخريات يخدمن الجيش ويسقين الماء ويداوين الجرحى ويحملنهم إلى المدينة . .

ثم قال ابن باديس بعد ما شرح موقف الدين من المرأة إنه لابد من مراعاة ما يفرضه عليهن الإسلام من تصوّن ، وعدم تبرج ، وعدم اختلاط ! ولن تكمل حياة الأمة إلا بحياة شطريها ، الذكر والأنثى . . . وكشف الرجل عن قيمة ما رواه الطبرانى عن عائشة مرفوعاً – فى شأن النساء – « لا تنزلوهن الغرف – يعنى لا يسكنّ فى الأعالى ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل وسورة النور » فبين أنه حديث مكذوب . . .

وقد أعلنّا نحن أسانا من أن هذا الحديث الموضوع يحكم المجتمع الإسلامى من قرون ! أما السنن المتواترة والصحيحة والحسنة فقد تم تجميدها بطريقة غريبة ، وبذلك أخذ المسلمون يتدحرجون إلى العالم الثالث ، ويتزاحمون فى ذيل القافلة البشرية لفقدان التربية الصحيحة ، ولا تربية مع جهالة المرأة ، وعزلها عن ، العلم والعبادة ، ودعوات الخير ، وشئون المسلمين ! !

وإيضاح أخير ، إن الرجل قد يقول عن نفسه : أنا لا أذهب إلى المقاهى والأندية ، حياتى بين عملى وبيتى ! إن دلالة هذا القول معروفة ، وهى لا تعنى أبداً أنه لا يذهب إلى المساجد ، أو لا يتردد على الأسواق . كذلك الأمر بقرار المرأة فى البيت ! إنه لفتٌ إلى وظيفتها العتيدة من حيث هى ربة بيت وقيِّمةٌ على أسرة ولا يعنى أبداً أنها سجينة لا تخرج إلا إلى القبر . . . أو الزوج ! !

الدعــوة ليست طريقهــا العنف

كانت الأمصار الإسلامية فى العهد الأول تضم طوائف من أهل الكتاب والمشركين بقيت على عقائدها وتقاليدها ، وقد ضاق بهذا الوضع بعض الناس لا سيما إذا ترك آثاره على الآداب العامة وتساءل : ما يصنع بإزائه ؟

روى البخارى فى كتاب الاستئذان – من صحيحه – قال سعيد ابن أبى الحسن للحسن : إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن ! قال : اصرف بصرك « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . . »

وقد تململ بعض الشباب وأنا أنقل عن البخارى هذا القول وصاح : ليس هذا ما تعلمناه ! ما تعلمناه أن المرأة المتعرية أو المتبرجة فى الشارع تسحر الناس بجمالها ، وقد قال الفقهاء : إن الساحرة تقتل ، فهذه أيضاً تقتل ! بل إن المستعلنة بالفاحشة يجوز قتلها دون إذن الإمام . . ! !

قلت : هذا كلام ما سمعته طوال حياتى ، وما قرأت لفقيه فى المتقدمين أو المتأخرين فتوى أو قياساً من هذا النوع ، هذا رأى فوضوى وليس اجتهاداً فقهياً . . . ! . .

قال : أيسرك أن تكون الشوارع معرض فتنة تزلزل العفاف على النحو الذى نشهد .

قلت : ما يسرّ هذا مؤمنا ، ولكن علاج هذا الخلل ما يكون بإرخاص الدماء على الطريقة التى ذكرتها ، أين التعليم ؟ والتربية ؟ والأسوة الحسنة ؟ والحكمة فى فطام الناس عما ألفوا ؟ وشرح صدورهم بالحق حتى يعتنقوه عن رضا ومحبة ؟

إنكم تجهلون طبائع الشعوب وأثر البيئات فى مسالك الأفراد وتحاولون فتح القفل بغير مفتاحه ولو انكسر وفسد الأمر كله !

قال : كيف هذا ؟ إننا نريد محو الفجور قلت : المرأة فى الهند تتوارث لباساً يكشف عن خصرها ، والمرأة فى أوربا تتوارث لباساً يكشف عن رأسها ، وأحياناً عن أطرافها . . وليست كل واحدة مشت مع هذه المواريث تريد الرذيلة أو تبغى الفتنة ، ربما كانت خالية البال ، وربما كانت سيئة .

والعمل الصحيح هو نشر العقيدة أولا ثم بناء الخلق والسلوك على دعائمها . . والعقيدة لا تنشر بفتاوى القتل ، واستباحة الناس !

قال : نحن نعالج مجتمعنا الذى تحلل من قيوده ! قلت : تعنى أن ترخص دماء المنتسبين إلى الإسلام ، ونصون غيرهم ؟ إذا كنتم لا تحسنون الدعوة إلى الله ، فدعوا ذلك لمن يحسنه . إن منطق قطاع الطريق لا يسمّى فقهاً ، والحرص على اتهام الآخرين بالإثم ليس غيرة على الدين .

المرتزقــة يرثــون الثورات

ربما قامت أعذار تخفّف المؤاخذة عن المخطئ ، وتطلب له الرحمة ! وهذا حسن ، فالبشر كلهم فقراء إلى عفو الله ، وجدير بنا أن نتواصى بالمرحمة . . . لكن هذا لا يمنع من التعرف على الخطأ وتحديد مداه وضبط موقعه . . ويجدر بنا التنبيه إلى أن الخطأ هو الخطأ لا ينقص منه ولا يزيد فيه أن يكون انحرافاً ناحية اليمين أو انحرافاً ناحية اليسار. فالزائغ عن الصراط المستقيم لا يخفف عنه أنه أوغل يميناً ولا يغلظ له لأنه انحراف يساراً ، إنه مخطئ على أية حال ، ومن قال : إن خمسة وخمسة تساوى سبعة كمن قال : خمسة وخمسة تساوى ثلاثة عشر ، ولا قيمة للزيادة أو النقص فى حساب الأخطاء .

والناس قد يتغاضون عن الخطأ لأنه أدبى ، ويجسّمونه لأنه مادى . فمن سرق سلعة فهو لص يجب قمعه ! أما من سرق فكرة علمية أو أدبية أو سرق منصباً من آخر أجدر منه ، فإن الاتهام يتجه إليه خفيفاً أو لا يتجه إليه ابتداءً . . ! ! والواقع أن هذا تفريق بين متماثلات ، فالجريمة واحدة ، وأحسب أن مقترفيها يحشرون سواسية فى الدار الآخرة ، وإن تفاوتت منازلهم فى هذه الدار . .

والناس فى عصرنا يتندرون بالحق الإلهى للملوك الذى عرفته الكنيسة فى العصور الوسطى ، ويردون إليه طغيان عدد من الحكام ، بيد أنه باسم الشعوب ظهر حكام أيديهم مطلقة فى كل شيء لهم من السطوة باسم الجماهير ما ليس لأسلافهم من ورثة الحق الإلهى . . . إن

العناوين والملابسات لا تغير الحقائق ، وإذا انطلت على الناس فما تجوز على عالم الغيب والشهادة . . . .

سمعت قائلا يردد فى ألم : نحن متفرقون على حقنا ، وهم مجتمعون على باطلهم ! فقلت له : ما أحسب المتفرقين على حقهم أصحاب حق ، فطبيعة الحق أن يجمّع أهله !

إن أعداداً كبيرة من السائرين تحت لواء الحق تكمن فى بواطنهم أباطيل كثيرة ، فهم يحتشدون بأجسامهم فقط تحت رايته ، ويبدو أن المآرب الكثيرة ، والأغراض المختلفة ، تجعل لكل منهم وجهة هو موليها ، وذاك فى نظرى ما جعل ثورات عديدة تسرق من أصحابها ويسير بها الشطار إلى غاية أخرى ! حتى قيل : الثورات يرسمها المثاليون وينفذها الفدائيون ويرثها المرتزقة ! ! ترى لو كان المثاليون والفدائيون على قلب رجل واحد فى الإيثار والتجدد أكان يبقى للمرتزقة موضع قدم ؟ إن أخطاء خفية ، نستخف بها عادة ، هى التى تنتهى بذلك المصير !

الحملات المسعورة على ديننا

يحب اليهود أن ينتموا إلى نبيّ الله يعقوب – الملقب بإسرائيل – كما يحب النصارى أن ينتموا إلى نبي الله عيسى بن مريم الملقب بالمسيح . والانتساب إلى العظماء طبيعة بشرية شريطة ألا يكون ذلك تغطية لنقص أو مخادعة عن سوء . .

ويعقوب نبيّ من أولى الأيدى والأبصار ، امتحن فنجح ! وبقى أغلب عمره شديد التعلّق بربه شديد الثقة فيه ، ومع فقدانه لبصره لم يضعف فى الله رجاؤه حتى جمع الله شمله . وملأ بالرضا فؤاده . . .

فهل اليهود كذلك ؟ أم هم نماذج لنسيان الله وعبادة المال وقساوة القلب ؟ . . .

والمسيح كان إنساناً نبيل السيرة مديد الرحمة يبعثر مشاعر الحب فى طريقه حيث سار ويناشد مَنْ حوله أن يكونوا روحانيين سمحاء فهل النصارى كذلك ؟ إنهم اخترعوا من آلات الفتك ما أهلك الألوف المؤلفة ، وكانوا مع مخالفيهم فى الرأى وحوشاً . ومع معترضى نزواتهم ذئاباً كاسرة !

والتفجيرات التى أبادت هيروشيما وناجازاكى زادت كماً وكيفاً وهى الآن مخزونة لأيام سود يشقى بها العالم أجمع !

فما معنى أن ينتسب القتلة إلى الحمل الوديع ويقولوا نحن مسيحيون؟ أو ينتسب الغادرون الأنانيون إلى مثال الصبر والرضا ويقولوا نحن اسرائيليون ؟ الحق أن ذلك كله افتراء وتزوير . . .

والغريب أن القوم على ما بينهم من فجوات جعلهم الحقد على الإسلام ونبيه وأمته جبهة واحدة إنهم نسوا ما بينهم من خلاف شديد ، وتعاونوا على أمر واحد هو كيف يمزقون أتباع محمد ويصرفونهم عن دينه ؟ والأوربيون والأمريكيون يتوارثون جيلا عن جيل تقاليد السخط على الإسلام والكيد له فى كل ميدان ، ومع ما أصاب الدين كله من تصدع وذويان أمام تيارات الإلحاد ، وفلسفات المادية المعاصرة ، فإن اليهود والنصارى لا يزالون يعدون الإسلام عدوهم الأول ! !

وقد سرح بى الخيال بعيداً وأنا أقرأ فى إحدى الصحف التى وصفت مذبحة « صابرا وشاتيلا » كيف أن ضابطاً قاتلا أخذ يتواثب فوق جسد صبى فلسطينى حتى أزهق روحه ، واطمأن إلى أنه لن يعود إلى الحياة ! ! لماذا هذا الغلّ الأسود ؟ لماذا هذه الوحشية القذرة ؟

هؤلاء بداهة لا دين لهم مهما انتسبوا إلى رسل الله . .

والحق أنه لن يكفّ أذاهم إلا جيل يفهم هذه الآيات « . . يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » . . .

ترى متى يتكون هذا الجيل . . . ؟

يرحبون باللقطاء ويرفضــون الأبناء الشرعيين

قرأت هذا العنوان فى إحدى الصحف : يتفقان على الطلاق وترفضه المحكمة ! شعرت للفور أن الزوجين ليسا بمسلمين ، ومع ذلك فقد أحببت أن أعرف القصة .

إن الرجل أحسّ بعد عام من الزواج بالفشل فى اختياره ، وأخذ يسهر بعيدًا عن بيته ، وكذلك أحست الزوجة ، ثم رأت أن تعود إلى أهلها ! وطالت الفرقة سنة بعد سنة ولم يغير أحدهما رأيه . . .

وأخيرا اتفقا على الطلاق لعلّ كليهما يجد رفيقا أصلح لحياته ! ما معنى أن تكون الأسرة على الورق ، ولا ظل لها فى الواقع ؟ ولِمَ يشتغل الطرفان بالتسوُّل الجنسي ويحرمان العيش فى بيت آخر ؟

إن الإسلام يقول : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته . وكان الله واسعا حكيما » . . لكن « بابا روما » يقول : إن الطلاق لا يجوز لأنه ضد الإنسانية ، وهو فى سياحته الأولى والثانية بأقطار أفريقية يكرر حملته على « مبدأ » الطلاق ، أى على الشريعة الإسلامية نفسها .

إن الطلاق عندنا أبغض الحلال إلى الله ، وعندما فكر أبو أيوب الأنصارى فى تطليق امرأته قال الرسول الرحيم : « إن طلاق أم أيوب لحوبٌ » أى إثم لكن ما العمل إذا تنافر الودّ وعزّ اللقاء واستحكمت القطيعة ؟ لابد مما ليس منه بدّ ! والطلاق أفضل من الخيانة والخنا والبهتان .

الغريب أن « بابا روما » ـ هداه الله ـ يَصْدر عنه ما يستحق التدبر العميق ، فهو لم ينبس بكلمة عندما أقر مجلس العموم ومجلس اللوردات اللواط ، كان شغله الشاغل الحديث اللاذع عن تعدد الزوجات ! أما انحراف الشهوة وشذوذها ووضاعتها فالخطب سهل .

وقرأ البابا ـ هداه الله ـ أن البكارة تكاد تختفى فى العقد الثانى من أعمار الفتيات ، وأن الأعراض تكاد تكون كلأً مباحا ، وأن اتصال الرجل بعشرات النساء حقيقة كالحة ! ليكن ذلك كله ، فهو عند الله أهون من تعدد الزوجات الذى نظمه الإسلام ، وكان فى الأديان الأخرى لا حدود له ! ألم يذكر العهد القديم أنه كان لسليمان ألف امرأة ؟ .

إن التحامل على الإسلام وتحريك الأحقاد ضده جعل البابا العظيم يؤثر الخلائل على الحلائل ! وجعله يستقبل اللقطاء ببشاشة ، ويرفض أن يكون للرجل أولاد شرعيون من صلبه إذا كانوا من زوجة أخرى !! .

والأغرب من ذلك التخليط المعيب أن البابا ـ هداه الله ـ يتحدث إلى شعوب ، المسلمون فيها كثرة مسحوقة ، والنصارى فيها قلة حاكمة غالبة ، والوثنيون ينظرون دهشين إلى العلاقات المتردية بين أتباع الأديان السماوية كما يقال .

وتزيد دهشتهم عندما يسمعون البابا يقول بدهاء : إنه يريد تقريب المسافة بين المسيحية والإسلام . . .

من نبوءات الرســول

وضع علماءُ السنة معايير دقيقة لضبط الحديث النبوى
ما صحت نسبته ، وقد لاحظ بعض العلماءِ أن هناك أحاديث ،
الأيام ، وكشفت الغيوبُ أنها كلام من لا ينطق عن الهوى
الواقع العملى ظهيرا للدليل العلمى نورا على نور .

ولست أحصى هنا هذه الأحاديث . وإنما أسوق مثالا واحدا
فى تسجيله عبرة لاسيما بعد الضجيج الهائل الذى أحدثته
أوربا وأمريكا عن مرض « الإيدز » . !..

هذا مرض لم يكن معروفا ، ويبدو أن جرثومته تخلّقَتْ فى
القذارات الجنسية التى انتشرت مع الحضارة الحديثة . و
العلماءُ إنه يجرد الجسد البشرىّ من أسباب المقاومة لأية
ويتركه صريع ضعف متصل حتى يذوق الحتوف . .

والحديث الذى أسوقه يشير إلى هذا المرض كما يكشف
فشوّه وتأذّى الناس به ، وقد رواه المنذرى بسند قوىّ عن
ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا معشر المها
خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن بكم ، أعوذ بالله أن تدركو
(١) لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم
التى لم تكن فى أسلافهم ! (٢) ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا
بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان (٣) ولم يمنعوا زكاة
إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا (٤) ولا

عهد الله وعهد رسوله إلا سُلِّطَ عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم (٥) وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » .

هل هذه نبوءات حققها المستقبل ؟ أم هى سنن حضارية تحكم سير الجماعة الإنسانية عامة ، والأمة الإسلامية خاصة . . . ؟ .

عندما أنظر فى الخصلة الرابعة من هذه الخصال الخمس ألمس أسباب الاحتلال الأجنبى أو الاستعمار العالمى ، الذى تألب على الشعوب الضعيفة فأكلها وأذلها ، والذى أغار على المسلمين فجرّد أيديهم مما تملك ، وما أكثر ما كانت تملك ! .

السبب هو النقض المتصل لعهود الله ، والعبث الدائم بمطالب الحق ، وقد كان الاستعمار قديماً يعالن بعدوانه . أما اليوم فهو يعمل من وراء ستار ، بل يعمل وهو يشعر ضحاياه بأنه صديق مخلص ! . . ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

وفى الخصلة الخامسة ترى سرّ الفرقة الضاربة فى الكيان الإسلامى ، وكيف وقع بأس المسلمين بينهم ، وانقسموا أحزابا متفانية ، إنهم لم يحكموا بما أنزل الله ، فبعثرهم الباطل فى جبهات كثيرة ، وأقام بينهم فجوات عميقة ! .

إن الزائغين عن الصراط المستقيم لابد أن يعانوا متاعب التشرد والهيمان .

كيف ينتصر من ارخص الاسـلام

فى العالم دول كثيرة لا تدين بالإسلام ، ونحن لا نُكرِهُ غيرنا على اعتناق ديننا ، ولا نتطوع بكره الآخرين لأنهم يعرفون غير ما نعرف ويعتقدون غير ما نعتقد . .

نحن نؤمن بقوله تعالى ﴿ . . . جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ويسرنا أن تقوم بين الناس كلهم علاقات حسنة ، وأن تختفى الحواجز التى تحجب المبادئ والأفكار ! .

وثقتنا بما لدينا أساسها الاقتناع لا التقليد ،واحترام الحق ،لا الانسياق مع الباطل ، ولذلك عقد النبىّ صلى الله عليه وسلم معاهدات مع عبدة الأصنام ومع أهل الكتاب ، ووفّى بما عاهد عليه وفاءً كاملا فكان الغدر من خصومه لا منه ، إنه عليه الصلاة والسلام أشرف نفساً وأصدق قيلا . . !

وفى هذا العصر لا بأس علينا أن نصادق فى الميدان الدولى من نرى المصلحة فى مصادقته ، وأن نعقد معه العهود التى تحدد ما علينا وعليه ! لكن الفرق بعيد بعد المشرقين بين معاهدتنا لدولة ما وارتضائنا لمبادئها ونقلها إلى أرضنا وتغيير المجتمع وفق توجيهاتها . . . .

إن لنا عقائدنا وشرائعنا ، وكل انتقاص لهذه العقائد والشرائع مزلقة إلى الكفر . . !

وقد لاحظت على بعض الدول العربية التى تعاهدت مع روسيا

أنها لم تتعاهدمع الدولة ، تعاهدت مع الشيوعية ذاتها ، وشرعت تنقلها كلا وجزءًا ، وأمست قبلتها « موسكو » لا مكة ، واهتداؤها « بماركس » لا بمحمد ! وحلَّ محلَّ القرآن والسنة ولاءٌ آخر لتعاليم لينين وغيره من سماسرة الإلحاد الذين يصيحون بكل قواهم :« لا إله! والحياة مادة »!

وهؤلاء العرب الذين غيروا انتماءهم صنوف ! منهم من اكتفى بتأييد الشيوعية فى الميدان السياسى ، وأعلن أنه لا يعارض الروس فى اعتدائهم على أفغانستان مثلا ، ولا يمنح المجاهدين ذرة من تأييد ! لقد نسى الأخوة الإسلامية لأنه نسى الإسلام نفسه !

ومنهم من أقام أحزاباً ماركسية صريحة العنوان والحقيقة تعمل سراً وجهراً على استبدال إيمان بإيمان ومنهج بمنهج ، وهو يبسط لسانه بالمنكر ضد الدين كله ، والإسلام خاصة !

إننى أتساءل : كيف يمدّ العرب أيديهم إلى هؤلاء ؟ وكيف يستبقون صداقتهم ويحرصون على زمالتهم فى الجامعة العربية ؟ إذا لم يكن ما صنعه هؤلاء العرب ارتداداً فما هو الارتداد ؟

ثم يجيئ سؤالنا الأخير : إذا أرخص العرب الإسلام فما مسوِّغات بقائهم فى هذه الدنيا ، وما انتظارهم لنصر الله ؟ ؟

الويل لأمـة تفقد ذاكرتهـا

أتفق المسلمون ما شذَّ منهم أحد على أن الهجرة بداية التاريخ الإسلامى ، وتمّ هذا الاتفاق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسبب واضح فإن الهجرة كانت فاصلا بين عهدين مختلفين ، كان المسلمون قبلها أفرادًا مطاردين لا يُعترف لهم بكيان مادىّ ولا أدبىّ ! فلما انتقلوا إلى المدينة قام لهم مجتمع بيّن الملامح ونهضت لهم دولة تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية .

وظل التاريخ الهجرى الضابط الأوحد للأحداث الخاصة والعامة حتى دهم المسلمين الاستعمار العالمىّ الأخير ، وبدأ خطته فى محو شخصيتهم وتشويه معالمهم ،فإذا التاريخ الأوربى يطارد التاريخ العربى ويحاول القضاء عليه . .

ومن الغرائب أن اجتياز قناة السويس وتحطيم خط « بارليف » وانتصار العرب على اليهود فى معركة خارقة تمّ وفق خطة تحمل اسم « بدر » وتقع فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ . .

وقد تنوسى هذا التاريخ الهجرىّ وذكر اليوم الموافق له من التاريخ الأوربى ، وأمسى الاحتفال به فى السادس من أكتوبر كل عام . . . !

ذكّرنى ذلك بقصة تولّى الملك فاروق عرش مصر وانتهاء مجلس الوصاية الذى تكوّن لأن الملك لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد ، لقد حُسب عمره بالتقويم الهجرى لأن ثمانى عشرة سنة قمرية توفّر بضعة شهور

وتعجل بتسلم السلطة ! حتى إذا تولاها طبق التاريخ الهجرىّ اعتبر التاريخ الميلادى الموافق هو اليوم الرسمى لاحتفال الميلاد الملكى وتنوسى التاريخ الهجرى تناسياً تاماً !

ومنذ أيام كنت أسمع إجابة علمية عن صلاح الدين الأيوبى فإذا المتحدث يذكره على أنه من رجال القرن الثانى عشر ، يعنى الميلادى بداهة . . .

إننى أرفض كما يرفض كل مسلم أن يتدحرج التاريخ الهجرى على هذا النحو الشائن ، وأن يستمكن الغزو الثقافى من إهانتنا على هذا النحو ! قد أقبلُ أن تُضبط الوقائع بالتاريخين العربى والفرنجى على شرط أن يتقدم التاريخ الهجرى ، أو ينفرد فى أغلب الأحيان . .

ولنعلم أن التقويم القمرى يرتبط بعقائدنا وعباداتنا السنوية ، وأنه بعد تحديد الهجرة رمزاً لدولتنا ودعوتنا أصبح تجاهل هذه الحقائق تهديداً للإسلام واستطالة على رسالته ومسيرته بل فصلا للحاضر عن الماضى .

والويل لأمة تفقد ذاكرتها ، وتعيش بلا وعى !

نظــرية دارون وعبث الملحــدين

قرأت فى رسالة علمية لطيفة هذه العبارة « إن نظرية دارون التى فسرت خطأً قضية النشوءِ والارتقاء أمست محفوظة فى رفوف المتاحف ، أو أمست ذكرى فى تاريخ العلوم ،وهى لا تدرس الآن فىمدارس الأُمم المتقدمة تقنيا » . .

قلت : لكن هذه النظرية التى أُعلنت وفاتها فى المحافل العلمية الجادة لا تزال تدرس فى العالم العربى على أنها حقيقة مؤكدة ، كما تدرس معها فى علم الكيمياءِ قضية أن المادة لا تفنى ولا تستحدث !!

وبقاءُ هذه الدراسة إلى الآن ليس عن غفلة أو أقتناع خاص ، وإنما يراد به إشعار الأَجيال الناشئة أن الإنسان حيوان خسيس النسب ، وليس نفخة من روح الله ، وأن الكون كله لم يصدر عن خالق عظيم ، وإنما عثر عليه مصادفة فى طريق الوجود ، دون أن يعرف له صاحب !!! وبذلك يتم التطويح بالدين كله فى هدوء . . .

والرسالة التى أَشرنا إليها صدر هذا الحديث للدكتور بشير التركى الذى كان رئيساً للوكالة الدولية للطاقة الذرية بالنمسا سنة ١٩٦٩ ، والذى يعمل الآن مستشاراً علمياً لجامعة تونس ، وقد فهمت من قراءتى لها أمرين : أولهما استحالة أن يكون الإنسان متخلقاً عن قرد ، فإن حاملات الوراثة فى الكيان الحىّ تتفاوت كماً وكيفاً فى مختلف الأَنواع ابتداءً من الـ « أميبا » فما فوق ، ودراسة هذه الخصائص الوراثية تقطع باستحالة هذه السلالم الموهومة فى الترقى الحيوانى . .

والأمر الثانى — وهو خطير — يقول فيه الدكتور بشير : « إن القانون العام للتطور فى العلم الحديث ينص على أن نظاماً ما للتطور لا يكون إلا من نظام منسق دقيق إلى آخر أقل اتساقا ودقة . . . ثم إلى الفوضى ، ثم إلى الهلاك آخر الأمر ! ! » أى أن التطور الملحوظ إلى أدنى لا إلى أعلى ، وأن الكون المادى صائر إلى التلاشى لا إلى الزيادة !

وقد ذكرنى هذا الكلام بنظرية آنشتين فى التمدد الكونى الذى سينتهى بالانشقاق كما تنشق الكرة إذا ظللت تنفخ فيها بلا انقطاع .

ولا أحب أن أدخل فى ميدان أنا فيه متفرج وحسب ! وإنما أحب أن أسائل المؤمنين بأن المادة لا تفنى قائلا : هل إذا تفجر المخزون الذرى من القنابل كله أو بعضه ، ودخل العالم أجمع فى الشتاء الذرى ، وذهبت الحياة الدنيا مع أمس الدابر ، وأصبحت كأنها فكرة مرت بذهن مكدود ثم نسيت ! هل المخلفات الباقية بعد هذا الفناء تشهد بأن المادة لا تزال ؟ ؟ إن الذين يتصورون العالم بغير خالق ينفثون أفكارهم من خلال دخان الحشيش لا التبغ ! وإنها لسماجة مرفوضة أن يسمى ذلك علماً . .

وسط أفريقيا وجنوبها حقل صليبى

نشرت صحيفة « الهيرالد تريبيون » فى ٢٥ ـ ٨ ـ ١٩٨٥ مقالا تحت عنوان « البابا يرجو الحدّ من انتشار الإسلام مع بداية زيارته الثالثة لأفريقية »

ومعروف أن هذه هى رحلته الثالثة خلال خمس سنوات ، ويقول كاتب المقال : إن البابا يأمل فى تقوية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية حتى تواجه الصحوة الإسلامية المعاصرة وتستطيع صدّها . فإن الفاتيكان يرى « أفريقية » من أنجح الميادين التى يعمل فيها النشاط الكنسىّ ، كما يرى أن التوسع الذى تم ضاعف المتنصرين عشرات المرات .

ففى سنة ١٩٠١ كان مدد الكاثوليك نحو مليون فقط ويبلغ عددهم الآن ٦٥مليون كاثوليكى ومطلوب أن يصل العدد فى السنين القادمة إلى مائة مليون . . !

والرحلة التى تمت هى السابعة والعشرون منذ تولى البابا منصبه سنة ١٩٧٨ وتجواله فى العالم كله والرجل ناشط فى خدمة عقيدته ونشر مذهبه ، وما يلومه على ذلك أحد ! فلنفسه أو لدينه بغى الخير !

أما الذى عجبت له فهو مسارعة رجال من زعماء المسلمين إلى استقباله والاحتفاء به وحشد جماهير من الشباب لسماعه ! ، لقد خيِّل إلى أن هؤلاء الرجال فقدوا رشدهم ، أو نسوا كل النسيان دينهم . .

وقد رفض زعماءُ السودان استقبال البابا للظروف الدقيقة التى

التى يمرّ بها وللصراع الطائفى الدامى بين الشمال والجنوب وكان البابا يريد أن يجعل السودان الدولة الثامنة التى يتحدث فيها فى هذه الرحلة .

ترى ما هذا الحديث ، يقول كاتب المقال : إنه من المتوقع أن يحث البابا الأساقفة الأفارقة ، والقساوسة وكل أتباعه على مضاعفة الجهود التبشيرية لمواجهة أو بتعبير أدق لمقاومة انتشار الإسلام فى اندفاعه الجديد من شمال القارة إلى جنوبها ! ! .

وقد راقبت هذه الرحلة فى شتى الصحف والإذاعات ، ومع التحفظ الدبلوماسى الذى سايرها ، فإن الإسلام تنوول بعبارات لاذعة فى بعض تعاليمه ، وذلك فى الخطب العامة ، أما فى المجالس والتعليمات الخاصة فحدث ولا حرج ! !

والذى استوقفنى هذا الحديث عن دفعة إسلامية هابطة من شمال القارة إلى جنوبها ! مَنْ صنع هذه الدفعة ؟ وأين هى ؟ إن النشاط الإسلامى فى الشمال الأفريقى كله من الأطلسى إلى البحر الأحمر يبذل جهوداً مستميتة ليبرز من القاع إلى السطح ! فأنّى له التسلل إلى وسط القارة وما تحته ؟

إنه يُمنح حق الحياة المجردة بمشقة ! أما دول وسط أفريقية وجنوبها ، فقلما تفتح فيها مدرسة إسلامية ، وقلما تسند وظيفة إدارية إلى مسلم ، وقلما يتاح لمسلم كيان اقتصادى ، إن الاستعمار الصليبى احتكر العمل فى أرض فيحاء يجوبها طولا وعرضاً دون عائق ، وها هو ذا يشق طريقه إلى الأمام .

الاستعلاء على رغبـات النفس

القدرة على الامتناع عظمة نفسية لا يبلغها إلا قليل من الناس ، ولا ريب أنها بعض الآثار المنشودة من فريضة الصيام .ونحن هذه القدرة يقول الرجل الصالح : إذا غلا شيء أرخصته بالترك ! فيكون أرخص ما يكون إذا غلا . . .

لكن من يستطيع هذا الترك ؟ إن النفوس تتطلع ، وتزعج المرء كي يجيبها إلى ما تبغى ، وتلحّ عليه إذا حاول كبحها ، وما ينتصر على هواه إلا امرؤ قوىّ الإرادة واثق العزم معانٌ من الله . . !

وعند التأمل نجد النفوس فى كثير من الأحيان تتعلق بكماليات يمكن الاستغناء عنها،أو بمطالب لا يعنى فقدها شيئاً ذا بال ، وأغلب البيوت تزدحم بأدوات وسلع وأوان وفُرش لو فقدت ما وقف تيار الحياة ، ولا تغضَّنَ وجهها !

وأبو الطيب المتنبي لم يكن من الزهاد ، ولا عرف عنه ازدراء الدنيا ، ومع ذلك فقد قرر هذه الحقيقة القريبة فى بيت من الشعر تضمن ثلاث جمل أو ثلاث حكم بليغة . .

ذكر الفتى عمره الثانى . وحاجته ما فاته . وفضول العيش أشغال !

وقد رأيت أمتنا تنظر إلى السلع البراقة التى تقدِّمها المدنية الحديثة بطفولة مضحكة وتتنافس فى اقتنائها مهما غلا ثمنها ، وعندما ارتفع

سعر النفط ضاعف الأوربيون سعرها ، وعندما هبط بقى السعر على حاله ، وبقى المشترون على رغبتهم وتطلعهم ! !

إن الاستعمار يعرف عجزنا عن « الامتناع » فيستغل هذا الضعف كى يملى إرادته ويثبت غناه وفقرنا ، أو تقدمه وتخلفنا . .

ولو أننا على قدر من الاستعفاف والاستعلاء على رغبات النفوس لكان لنا معه شأن آخر ، ولعلمناه كيف يحترمنا . . !

هل يستفيد المسلمون هذا الخلق من شريعة الصيام ؟ كلا ، إن المسلم يأكل فى رمضان أكثر مما يأكل فى سائر شهور العام ، وهو يؤدى هذا النسك بأسلوب يبطل حكمته ويقتل ثمرته ! والأمم عندما تهزل تهبط بمستوى العبادة بدل أن ترتفع هى إليها . .

ولست أدرى ـ والاستعمار العالمى يتربص بنا ـ أنبقى عبيد أهوائنا ، أم ننجح فى كبح جماحها ، ومن ثم ننتصر على عدونا ؟

فوضى الشـهوات الجنسية فى أوروبا

فى غياب الوحى ، أو فى جراءة الناس عليه ، تقع آلام وأحزان كان ينبغى أن تكون مثار عبرة ومبعث توبة ، ولكن يظهر أن الناس يكرهون الرشد . وإلا فبم تفسّر هذه المتناقضات التى قرأتها أخيراً ؟

قرأت أن ديون العالم الثالث تتضاعف ، وأن الحلقة تضيق حول عنقه ، وأن عرقه المتصبّب فى الوفاء بما عليه لا يكاد يسدّ الفوائد الربوية على قروضه ، بل إن بعض الدول تقترض لمجرد سداد الفائدة المستحقة !

إذا اقترضت دولة فقيرة مائة مليون دولار وكان عليها أن تدفع عشر هذا المبلغ على الأقل رباً ، وتبلغ هذه المائة مئتين خلال بضع سنين إذا عجزت عن الوفاء ! والعالم الأول الذكىّ المتحضر مسرور فخور بموقفه المستعلى ، وقدرته العظيمة على امتصاص الدم ، والويل للفقراء . . .

ومع ذلك كله فالربا حق ، لا يجادل فيه إلا متدينون متخلفون !

وقرأت أن روسيا قررت مضاعفة العقوبات على السكارى بعد ما فقدت الآلاف من الرجال فى حوادث المرور وآلافا أكثر فى أعطال الآلات وخراب المصانع ، وآلافا أكثر من ضحايا الأدمان الذين غصت بهم المصحات والمستشفيات ، وسمعت صيحة التحذير التى أطلقها رئيس أكاديمية العلوم هناك أن الشعب الروسى فى خطر وأن مستقبله مظلم بسبب الخمور والإغراق فى تناولها . .

ومع ذلك فالخمر حلال ، وشربها جائز والقول بحرمتها تفكير إسلامى ردئ يجب أن تعترضه الشيوعية والصليبية على سواءٍ . . .

وقرأت إحصاءً يفيد أن الأملاك الفردية الخاصة فى روسيا تبلغ مساحتها الزراعية ٣ ٪ وأن هذه المساحة الضيقة تنتج ٣٠ ٪ من المحاصيل. أما الـ ٩٧ ٪ من المزارع الجماعية الباقية فلا تزيد غلتها على ثلثى الإنتاج العام . . .

ومع ذلك فالملكية الفردية جريمة ، والمناداة بها ارتداد يختصر العمر . أو رجعية تستحق الإزراء . . .

وقرأت أن بابا الفاتيكان خطب فى قطر أفريقى مسلم (!) يندد بتعدد الزوجات ويصفه بأقبح الأوصاف ، وتساءلت : ماذا قال عن فوضى الشهوات الجنسية فى أوربا وعن قدرة شخص واحد على الفتك بعشرات الأعراض ؟ فلم أسمعه قال شيئاً ! !

إن البعد عن الدين الحق لم يثمر إلا البلاء ، ومع ذلك فالعالم فى محنة عقلية تذكرنا بقول الشاعر :

يُقضى على المرءِ فى أيام محنتــه حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن !

عنـــدما نفقـــد أخوتنـــا

لم أجد قومية أشأم على أصحابها ولا أسوأ عقبى من القومية العربية بعد تجريدها من الإسلام وإلحاقها بركب « العلمانية » ! ربما أرجأ القدر العقاب على بعض الانحرافات الخلقية والاجتماعية. بيد أن الغدر التاريخي والعقوق المستعلن الصارخ لا يمران بسهولة ولا يفلتان من قبضة القدر الصاحي ، وذاك سر النزيف الدائم الذي يتعرض له الكيان العربي ويوشك به على التلاشي ، ولا عجب فالجنس العربي ينتحر عندما يترك الإسلام ! ويفقد القدرة على البقاء داخل سياج سياسى محترم ! وهل أحس العالم كله من أزل الدنيا إلى أبدها وجوداً دولياً محترما للأمة العربية إلا بعد ما اعتنقت الإسلام وحملت رسالته واصطبغت ظاهرا وباطناً بتعاليمه ؟ ؟

إن الحقد والعناد والعتوّ كانت رذائل تفصل بين ا لقبيلة والقبيلة،بل بين الفرد والفرد حتى جاء الإسلام فمحا هذه الفواصل، وفى ذلك يقول الله تعالى لنبيه ﴿ وألَّف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ... ﴾ إن الله وحده بهذه الرسالة الخاتمة ، وذلك الدين العظيم هو الذى أقام من العرب دولة تتماسك بالإخاء الإسلامى ، ويشد بعضها بعضاً فى صف مرصوص ، أو بنيان صلب ، وتلقى الأعداء فى المشارق والمغارب فلا تنكس لها راية ولا يسوَدُّ لها وجه ! !

أما اليوم ،بعد ما زهد العرب فى الإسلام ، وردموا منابع الطاقة

التى يتحركون بها فى الداخل والخارج فقد استبيحت بيضتهم ولطمهم الحر والعبد ،وليتهم ينتحرون بشرف (!) إنهم قبل أن يهلكوا يتعرون من الخصائص التى تجمع الأمم فى الأزمان ،ويتشبث بها الأحياء طلباً للنجاة..
عندما كانت جماعة أمل الشيعية مدعومة بجيش لبنان المارونى تهاجم المخيمات الفلسطينية التعيسة سمعت المذيع يقول : إن لجنة ذهبت لوقف سفك الدم بين الأشقاء ! ! ! لقد صحت بأسف أشقاء ؟ ماذا تقول أيها المذيع ؟ إن النسب الذى يجمع هؤلاء وأولئك قد تقطع وزال .إن الدين الذى أصلح قديماً ذات بينهم ، ووحد كلمتهم استبعد عن عمد وعقوق ، ولم يبق إلا أن تقع النتائج التى ذكرتها الآية الكريمة ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ؟ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

لمـاذا يكرهون الدولة المسـلمة

لم أكن أظن الكارهين لما أنزل الله بهذه الكثرة ، ولا أن قلوبهم يغشاها كل هذا السواد ! .

بيد أن الاستعمار الثقافى كان أنجح من الاستعمار العسكرى . فإن الجيوش التى احتلت أرضنا حيناً من الدهر عادت من حيث أتت. أما الأفكار التى احتلت عقولنا فقد بقيت تفعل الكثير . . . !

قلت لرجل يزعم أنه « ديموقراطى » :ما تعريف الديموقراطية ؟ قال : حكم الشعب بالشعب ، فالأمة مصدر السلطة ! قلت : يبدو أن للتعريف بقية لا تذكرونها قال : ما هذه البقية ؟ قلت : إلا أن يكون الشعب مسلما فيجب ألا يحكم نفسه بنفسه وألا يكون مصدر السلطات التى تدبر شئونه ! !

إن أىّ شعب مسلم يريد أن يحكمه الإسلام ولكن إرادته هذه تكبت بكل سلاح ، وحنين المسلمين إلى عقائدهم وشرائعهم لا ينقطع ولكنكم تسكنون هذا الحنين بأساليب لا حصر لها : تزوير الانتخابات ، تزوير الإعلام ، تزوير المقالات ، تزوير الفتاوى ، فإذا لم يغن هذا التزوير جاء دور السيف فكمم الأفواه وأنشأ المنافى . . ! والرجال الأحرار لا تستقر لهم دار ولا يهدأ لهم بال . .

قال : إن الحكم الدينى هو الذى يفعل ما نقول ، أما الحكم المدنى فلا . . ! قلت له : إن استقرار الشيوعية حيث استقرت كلّف الأمم

ملايين القتلى ، وحمامات من الدم لا يدركها جفاف ، وحديث خرافة عن حقوق الانسان فهل هذه هى الديموقراطية الشعبية ؟

وهذه الأقطار التى تحررت من الصليبية الغربية إنها تكافح لتستعيد تراثها الروحي والفقهي وشخصيتها المادية والأدبية ، ولا تخرج من محنة إلا لتدخل أخرى. إنكم تريدون لها حرية الإسفاف والنزوات ، أو حرية الفسوق والعصيان ، فإذا أرادت التمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ونهج سلفها سمع هنا وهناك عويل على الحريات المهددة ! والغد المحفوف بالأخطار ! وسمع ممن لا يملك ذرة من رصيد شعبي أنه — باسم الشعب — يرفض العودة إلى الإسلام !

قلت لرجل كثير الحديث عن الجماهير وحقوقها : إن الإسلام يقدم لها كل هذا الذى تقول ! فكسا وجهه تجهُّمٌ وضيق وقال : لا أظن ! ونظرت إليه ملياً ثم قلت : تحب أن أصارحك ؟ إنك تكره شيئاً آخر يضمه الإسلام إلى هذه الحقوق المقررة ، إنه يضم إليها الصلاة والاستغفار والإعداد للآخرة ، والارتباط الدائم بالله وهذه معان تنكرون ما قد يرتبط بها من عدالة اجتماعية أو عدالة سياسية !

إذا كان الإسلام دينا ودولة ، فأنتم تكرهون الدولة المسلمة ، لأنكم تكرهون الدين نفسه .

معـركة خاسرة يا دعـاة التنصير

كانت مشاعر الغضب والحقد والعناد بادية فى مؤتمر التنصير « التبشير » الذى انعقد فى شوال سنة ١٣٤٦ هـ بالقدس أيام الانتداب البريطانى ، إذ وقف شيخ من دعاة النصرانية يقول : لقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيراً ، وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة ، وألفنا كتبا ، وألقينا خطباً ، ومع ذلك فلم ننقل من الإسلام إلى النصرانية إلا عاشقاً بنى دينه الجديد على أساس الهوى ، أو نصاباً سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعدّه قد خرج منه ! ومع ذلك فالذين تنصروا او بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحذيتهم !

فما الحل بعد هذا الفشل ؟ يقول الداعية المجرب ؛ يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين أن نهدم الإسلام فى نفوسهم ! حتى إذا وهت صلتهم بدينهم سهل علينا – أو على من يأتى بعدنا – أن يتم رسالتنا ، وأن ينشر النصرانية بين الضائعين التائهين عن دينهم !

وظاهر أن هذا الاقتراح هو الذى استقر عليه أمر المجتمعين ، واتخذت الخطط لتنفيذه ، ورأينا آثاره فيما استقبل الاسلام والمسلمون من سنوات عجاف . .

وهدم الاسلام فى نفوس أتباعه قد يعنى هدم الايمان كله ، ومجافاة الأديان كلها ، أى تشجيع الإلحاد والانحلال بين المسلمين ونقلهم إلى الشيوعية مثلا . . . !

ليكن ! المهم أن يترك المسلم عقيدة التوحيد ، واتباع محمد ، وليذهب إلى المجوسية أو اليهودية أو الوثنية أو إلى أى نحلة مغموصة فى هذه الأرض ، ليذهب حيث شاء ! المهم أن يترك الإسلام ، فإذا تخلى عنه أمكننا بعد أن نجتره إلى النصرانية . . !

ونتيجة هذه المقررات أخذت أجهزة إعلام شتى تخدم البهائية والقاديانية والوجودية والفرويدية والدارونية . . . الخ . وظهر مسلمون(!) يستخفون بالسكر والرقص ، ويتندرون بشعائر الحدود والقصاص ، ويتأولون النصوص بمجون وجراءة ، ويتضاحكون من المؤمنين وهم يرمقون الآخرة ويتقون الله ! !

إننى أقرأ مقالات كثيرة فى هذه الأيام لم يضع المنصرون « المبشرون » إمضاءهم عليها ، لكنهم فى الواقع هم الذين أملوها ، وتابعوها حتى ظهرت فى الصحف ، وحسبت كلاماً عادياً ، أو رأياً شاذاً ، وما هى إلا تنفيذ لمخطط قديم ضد هذا الدين . . إن المشتغلين بالتبشير أو التنصير واهمون حين يديرون المعركة على هذا المحور ، فإفلاسهم فى مواجهة التقدم الحضارى والرقى العلمى يجعل أملهم فى إرث الإسلام سراباً . والفاشل لا يفيده أن يقتل غيره . . .

متى نبرأ من هــذه العــلل

من أمارات العظمة أن تخالف امرءًا فى تفكيره ، أو تعارضه فى أحكامه ، ومع ذلك تطوى فؤادك على محبته وتأبى كل الإباء أن تجرحه .
أحسست ذلك وأنا أقرأ رسالة لابى حامد الغزالى وجهها إلى السلطان سنجر ملك المسلمين فى عصره على العراق وإيران وأفغانستان ، وكان الغزالى قد اتهم بأنه نال من الإمام أبى حنيفة ، والإمام الكبير مكانته فى هذه الأرجاء ، بل له مكانته السامقة فى الفقه الإسلامى كله . قال أبو حامد للملك « . . . وأما ما قيل من طَعْنى فى الإمام أبى حنيفة – رحمة الله عليه – فلا أتحمله بالله الطالب الغالب المدرك المهلك الحىّ الذى لا إله إلا هو » بأن اعتقادى فى أبى حنيفة رحمة الله عليه بأنه كان أكثر غوصاً من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم – فى حقائق المعانى والفقه – فكل من حكى شيئاً غير هذا من عقيدتى أو خطّى أو لفظى فهو كاذب » . .

وختم رسالته برجاء إلى الملك أن يدعه يعبد الله فى زاويته وأن يعفيه من التدريس لعلماء عصره . .

والذى استوقفنى فى كلام الغزالى حرارة القسم الذى تبرأ به من ذم أبى حنيفة ، وتناوله الجمّ على أحد الأئمة الأربعة المتبوعين ! وذلك مع أن الغزالى شافعى المذهب فى فقه الفروع ، وهو فى علم أصول الفقه يخالف الأحناف فى بعض طرائق الاستنباط ! بيد أن ذلك الخلاف العلمىّ القائم لم يتجاوز دائرة النظر وحرية البحث. ولكل وجهة هو موليها . وليس يغض هذا من تقدير الرجال والاعتراف لهم بالفضل .

الواقع أن الخلاف العلمى لا يثير الحفائظ إلا لدى الرعاع ! ولعله يكون متنفساً لمآرب وأهواء عند من لا يتقون الله . أما العلماء الكبار فلهم شأن آخر . ألا ترى مالكا رضى الله عنه يرفض عرض الخليفة أن يجمع الناس على كتابه « الموطأ » . لماذا ؟ لأن لدى الناس علما آخر قد يؤثرونه على موطئه فلا يجوز حملهم بالقسر !

لو كان رجل آخر دون مالك لفرح بتجميع الناس على رأيه أو على روايته ، ولكن مالكاً هو مالك . . .

فى هذه الأيام العجاف رأيت حرائق تندلع إثر خلافات مستصغرة ، ورأيت دين الله يتسع لوجهات نظر لها وزنها المتقارب ، ولكن دنيا الناس تضيق بما وسعه دين الله ، إن الفقه مظلوم عندما نحمله اشتجار الآراء واحتدام العصبيات وتجريح الرجال ، لعل المسئول قلة الفقه . أو لعل المسئول ضعف التربية الخلقية والآداب النفسية : فمتى نبرأ من هذه العلل ؟

الحكمة من الحج

ذكر القرآن الكريم بعض الحكمة من لقاء الحجيج فى موسمهم الحاشد فقال : « ليشهدوا منافع لهم ». فما هذه المنافع المشهودة ؟ من التأمل والبحث نجدها منافع مادية وأدبية وسياسية وعسكرية، وإن كان المسلمون قليلى الدارية بما شرع لهم ، ولننظر إلى أول حجة فى الإسلام لندرك هذه الحقيقة . .

وقعت هذه الحجة فى السنة التاسعة بعد عام واحد من فتح مكة ، ولعل كثيرين يحسبون أن الوثنية قد تلاشت من جزيرة العرب بهذا الفتح ، وخمدت أنفاسها ، وهذا خطأ ، فإن ألوفاً ضخمة من الدهماء ظلت على خصامها للتوحيد ، وولائها للأصنام ، وتربصها بالمؤمنين ! .

إن الصحابة رضى الله عنهم قد يجاوزون المائة ألف ، وقد استطاعوا وراء نبيهم العظيم أن يدكوا معالم الكفر ، لكن قوى الكفر بقيت متشبثة بمواقع شتى ترقب الغد لتتحرك ! ! وهذا ما عالجته الحجة الأولى ،ونزلت سورة براءة لتطاردهم ، وتدبر قوله تعالى لأولئك الأعداء المتربصين:﴿ اعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله. فإن تبتم فهو خير لكم،وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله . . . ﴾

السياق كما ترى يدل على أن أعداء الإسلام كانوا طامعين فى

معاودة الكرة عليه والنيل منه ، بل إن المسلمين مع النصر الذى أحرزوه من قبل كانوا يشعرون بالقلق من أولئك الكفرة الفجرة حتى قال الله لهم ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيْمانهم ،وهمُّوا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ؟ أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ .

فى هذه الحجة الأولى ، وفى ذلك الموسم الجامع وبين حشود المؤمنين والكافرين على سواءٍ ، تنزَّلَ الوحى وكأنه صواعق غضب يطارد فلول الظلام ويطالب المؤمنين أن يملكوا ناصية الموقف ! وأن يثقوا فى الغد القريب والبعيد ، وأن يتحركوا بمنطق الإيمان المقدام الجرىء غير مكترثين بشىءٍ .

قلت لنفسى : أما تتجدد براءة أخرى ؟ إن المسلمين ربع سكان الأرض والهوان ينزل بهم من كل ناحية ! أما تتكرر الروح التى سادت أول حجة فى الإسلام ؟ أما تتحول الكثرة العددية للمسلمين إلى كثرة روحية ؟أما يحج المسلمون هذه السنة ليشهدوا منافع لهم تمحو فرقتهم، وتسود صفَّهم ، وتردُّ مهابتهم إلى قلوب أعدائهم ؟ . .

يا قومنا إن الحج ليس لقاء أجساد ،ولا شراء هدايا ،ولا حمل ألقاب! اجعلوا الموسم الجامع فرصة إعداد ، وموطن دراسة علمية وعملية ورسم خطة لإنقاذ أنفسكم من طوفان مقبــل . . .

تـدبر القـرآن

القراءة دون وعى علة أصيب بها المسلمون من قديم جعلت صلتهم بالوحى الإلهى سطحية عقيمة ، فهم يكتفون بتلاوة الآيات أو بسماعها ، وقد تومض فى أذهانهم بعض الهدايات ، ثم تنطفىء على عجل أو مهل قبل أن تملأ النفس بسناها العميم ! .

والعامة تحسب أن التلاوة الحرفية لها سر مُغيِّب قد يغنى عن التدبر والتأمل ! وقد لفت نظرى أن السورة التى شاع أن تُقرأ على الموتى ، أو على المحتضرين تضمنت هذا النص ﴿ . .. إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴾ كما أن الله سبحانه وصف عباده الذين يشرفون بالانتماء إليه فقال بعد عدة أوصاف رفيعة ﴿ والذين إذا ذكِّروا بآيات ربهم لم يخِرُّوا عليها صما وعميانا ﴾ .

إن السماع دون فهم ، والنظر دون رويّة ، أمراض تمحق المواهب البشرية ، وتجعل المرء شبحا لا روحا ، والأشباح لا تصنع شيئا فى دنيا الناس ، ولا يرتقى بها شعب من العالم الثالث إلى العالم الثانى بل الأول . .

وقد تتبعت كلمة التلاوة فى آيات قرآنية كثيرة ، فوجدتها تعنى عرض الرسالة الخاتمة ، وبيان معالمها العامة ، وإعطاء صورة مجملة للقضايا والأهداف ، أى ما يسمّى فى عصرنا بدليل الحركة

أو منهاج العمل ! ثم تكون بعد ذلك الدراسة، والتدبر ، والتعليم.

قال تعالى : ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك . .. ﴾ .وقال على لسان نبيه ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ، وله كل شىء ، وأمرت أن أكون من المسلمين ،وأن أتلو القرآن . . . ﴾ .

والآيات كثيرة فى أن التلاوة مفتاحُ الاطلاع على ما أودع الله كتابه من حق ونور ، فكيف تتحول إلى ترانيم وترديد ألفاظ مع قصور إدراك ؟ .

صحيح أن لألفاظ القرآن قداستها ، ذلك لأن الله سبحانه أراد أن يحصِّن القرآن ضد ما أصاب الصحف الأولى، فإن الاستهانة بالألفاظ من خلال الرواية بالمعنى ، والنقل بالترجمة أضاع الحقيقة ذاتها شكلا وموضوعا، ولم يبق من تراث النبيِّين الأولين ما يصدق عليهعنوان الوحى .

من أجل ذلك كان الحرص الشديد على ألفاظ القرآن ، وجعل تردادها طاعة مأجورة ! لكن ذلك لا يقلب الأوضاع. فإن الجواهر النفيسة توضع فى علب فاخرة ، ويعتنى بالعلبة اعتناءً خاصا .فهل تساوى العلبة شيئا طائلا إذا سرقت الجوهرة منها ؟ وهل تنتفع بالقرآن إذا جودت أحرفه ونسيت معناه لأن الشيطان سرق عقلك وأنت تتلو . . . ؟ ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ... ﴾ ؟

التأدب مع العلمـاء

من الفواقر – كما جاءَ فى الأثر – « جار سوءٍ إن رأى خيرا دفنه ، وإن رأى شرا أذاعه » .ومن الفواقر كذلك قارئُ سوءٍ يطالع سِيَر الرجال فى التاريخ فلا يستوقفه إلا ما ينسب إليهم من هنات أو ما يواقعون أخطاءٍ ! أما ما أفاءَ الله عليهم من محامد ، وما قدموا للناس من خيرات فلا اكتراث به . . .

المؤسف أن هذه العلة النفسية تفشو بيننا نحن العرب ، لقد أُلِّف فى « نابليون » نحو مائة كتاب. فكم أُلف فى خالد بن الوليد أو فى صلاح الدين ؟ ونابليون رجل حرب وحسب ! يغدر ويظلم ويسفّ فى أحيان كثيرة ، وهو من الناحية الخلقية والعسكرية دون خالد بمراحل .

ومع ذلك فإن قومه جسّموا ميزاته وأهالوا التراب على رذائله. فما يذكر إلا بأنه العبقرىّ المهيب ! . إن تاريخنا مليءٌ بالعظماء فى كل ميدان. غير أننا موكلون بطىّ محاسنهم ، ولولا أن هؤلاء العظماء تركوا من المواريث الحية ما بدد أكوام التراب التى أهيلت عليهم لجرّ عليهم النسيان أذياله من زمن بعيد ! .

أقول ذلك لأنى نظرت إلى الرجولات السامقة التى ظهرت خلال القرن الأخير فوجدت المطاعن تناوشها من كل جانب ، والتهم تترى .والمدافعين ذاهلين ! ! ووجدت المعجبين بأحد المصلحين يحسبون

أن الأُفق لايتسع إلا لهالته وحدها ، سبحان الله ! إن الأُفق رحب فلم نحاول إطفاء الآخرين ؟ .

قلت لأحد أصحابي : إنني تتلمذت وما زلت على أئمة مختلفين ، أقرأُ لأَبي حنيفة إمام أَهل الرأى ،ولابن حنبل إمام أَهل الأَثر ،ولابن تيمية ،ولأَبي حامد الغزالي ، ولابن سينا وابن الجوزى وهذا فيلسوف وذاك واعظ ، وأَقرأُ لابن عطاء الله ولابن عبد البر .

وأَقرأُ فى الأَدب لأَبي الطيب وأَبي العتاهية ، وللعقاد والرافعي — على ما بينهما من جفوة — إن الله سبحانه وزع جمال الفكر والأَداء والخلق والسلوك على كثيرين ، وينبغى أَن أَستفيد من مواهب الله عند خلقه .

أَما التماس الأَخطاء للتشهير بها وانتقاص أَصحابها فإنه لا يجدى علىّ شيئا ، ولا يرفع خسيستى أَو يقيم عوجى .

سمعت شابا حَدَثًا يتعرض لأَحد الأَئمة الأَربعة بالنقد الحاد ، فنظرت إليه مستغربا ، فقال : هم رجال ونحن رجال ! فقلت له : إننى لا آمنك على قراءة جريدة يومية قراءة صحيحة ، فأَنّى لك هذه الرجولة المزعومة ؟ يا بنىّ أَدب الإسلام كما قال رسوله « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ،ويرحم صغيرنا ،ويعرف لعالمنا حقه » !! .

فلنتأَدب مع عظمائنا . . !! .

استشهاد اسماعيل الفاروقى

عرفت الدكتور إسماعيل الفاروقى من بضع وثلاثين سنة ، كان من أبرز الدارسين للفلسفة الإسلامية ، وكان يقدم الإسلام للعقل الغربى المستنير نظريات فى المعرفة والعدالة تثير الإعجاب والمحبة ، وإلى جانب علمه الواسع كان دميث الأخلاق، مطمئن النفس، منصفا للخصوم والأصدقاء على سواء .

وقد خامرنى فزع شديد عندما قرأت مصرعه ، ومصرع زوجته ، فى بيتهما ، ونقل ولدهما بين الحياة والموت ! ! واقشعر بدنى وأنا أقرأ أن « اللصوص » أجهزوا على ضحاياهم بالسكاكين ! .

وشرعت أبحث عن أسباب الجريمة ؟ قالوا : إن اللصوص غضبوا لما وجدوا البيت خاليا من المال الذى يبتغون ، ونفّسوا عن غضبهم بهذه المذبحة ؟ .

وبديهى أن أى عاقل يرفض هذا السبب ! ومضيت أستقصى الأنباء فعرفت أن الجريمة لم يرتكبها لصوص مال ، وإنما ارتكبها لصوص عقائد ! إن النشاط العلمى الإسلامى الذى يقوم الدكتور الفاروقى به هو الذى أحلَّ دمه وأغرى بقتله ! ! .

وقد ارتكب المجرمون « المتطرفون » ـ كما وصفوا ـ هذه المأساة ، وانصرفوا فى هدوء ، ثم خيم الصمت على القضية كلها ، ومتروك للزمن أن يسحب عليها ذيل النسيان .

إن فى أوربا وأمريكا أشخاصاً كثيرين يقتفون آثار بطرس الناسك فى التأليب على الإسلام ، وافتراس العاملين له جهرة واغتيالا . . .

ومع الاسترسال والذهول اللذين يسودان أمتنا سنفقد الكثير من رجالنا وعلمائنا دون أى قصاص ! .

إن جنديا أمريكيا مع عشيقة له قتلا فى إحدى الحانات ، فى ليلة حمراء أو سوداء ،فتحركت الأساطيل ومئات الطائرات ترجم من يظن أنهم أوعزوا بالقتل ، أما نحن فإن واحدا من علمائنا يقتل مع زوجته فى بيتهما الطاهر المليء بالبحوث والمقالات ثم . . ينشر النعى ويقبل العزاء وتطوى القصة ! .

ما أرخص دماءنا نحن المسلمين ! .

فى الريف المصرى يصفون بعض الناس بأن « هِرَّهُم جَمَلٌ » ! إنهم يصنعون ضجة كبيرة إذا أصيبت لهم هرة ! .

وهناك ناس — فيما يبدو — يُعقر جملهم فلا يرثى لهم أحد ! .
رحم الله الدكتور إسماعيل الفاروقى وزوجته ، وإلى الله المشتكى ! .

أوائـل الشـهور العربيـة

اختلاف المسلمين حول أهلة الشهور العربية أمسى مهزلة أو كاد ! فعيد الفطر الماضى كان يوم السبت عند بعض الشعوب ، وكان يوم الأحد ، أو يوم الاثنين عند بعض آخر .

والتذبذب فى إثبات الهلال على مدى يومين أو ثلاثة أمر صارخ الدلالة ، وأثره على الوحدة الإسلامية لا يمكن إنكاره ! وتجاهل ذلك كله شىءٌ لا يطاق . .

قرأت لجمع من علماء الفلك أن الهلال سيولد علميا يوم كذا، ساعة كذا ، وأن رؤيته قبل ذلك مستحيلة ! وما هى إلا فترة وجيزة حتى قرأت أن شهود عيان قد رأوا الهلال المرتقب ! ! .

قلت : أحد أمرين ، إما أن الشهود واهمون ، وإما أن الفلكيين مخطئون ، وليس هناك احتمال ثالث ! إن القمر يسير فى مداره بسرعة مضبوطة لا تزيد ولا تنقص ، إنه لا يحث الخطى أحيانا ليقابل منتظريه، ولا يتمهل ليزدادوا شوقا إلى لقائه ! ! الأمر كما قال ربنا ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلا بالحق .. ﴾ . والجملة الأخيرة حاسمة فى أن سير القمر يتم بالحق لا بالفوضى ، وأن هذا السير إذا تم اكتشافه بطريق يقينى فلا مجال بعد ذلك لعبث ! .

تقول : وأنى لنا اليقين ؟ وأجيب : إننى أطلب لجنة لاستجلاء الحقائق ، تتصل بالمراصد فى واشنطن وموسكو ولندن وباريس ، وتتعرف منها عن الوقت الذى يتم فيه الاقتران بين القمر والأرض والشمس ، ونتلقى إجابة قاطعة عن إمكان الرؤية عند الاقتران، فإذا كانت مستحيلة رفضنا كل شاهد يزعم الرؤية ، مؤكدين أنه شخص تخيل فخال ! .

إن اليقين العلمى لابد من احترامه ، ومن استبعاد كل ما ما يخالفه . .

والواقع أنى أشعر بالحيرة عندما أطالع فى الصحف كلاما لفلكيين يجزمون باستحالة رؤية الهلال ، ثم أسمع بعد ذلك أن الهلال رؤى فى كذا وكذا من البلاد ! ! .

إننى أطالب بتحقيق علمى وعالى فى هذه المأساة ! فإما غيرنا مراصدنا وعلماءنا لثبوت قصورهم ، وإما عاقبنا شهودا رأت عيونهم ما لم يولد فى أفق ، ولم يثبت له وجود ! إن الصمت على هذا التناقض لا يجوز .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاجتنا الى التعاون والتواد

شكا لى خطيب فى أحد المساجد أن رؤساءه نالوا منه ! قلت : لماذا ؟ قال : لأنى فى خطبة عيد الفطر أفتيت بأن قيمة الزكاة لا تجزىء عن الزكاة نفسها ، ونددت بأبى حنيفة ورأيه فى هذا الموضوع ! .

قلت له : ولم فعلت ذلك ؟ قال غاضبا :قررت مذهب السلف. أفى ذلك جريمة ؟ أجبت فى هدوء : إنك لست أعرف بمذهب السلف من شيخ الإسلام ابن تيمية الذى ربط الحكم بمصلحة الفقير ، ورأى جوازا إخراج القيمة إذا كانت القيمة أجدى عليه وأحب إليه ! هل قرأت ما ذكره صاحب فتح البارى فى هذه المسألة ؟ .

وخيل إلىّ أن الخطيب المفتى لم يكن خبيرًا بأقوال العلماء فى الموضوع ، ومع ذلك فقد مضى فى تنديده بالمذهب الحنفىّ وصاحبه ! .

قلت له : فى كتاب « فقه الزكاة » للقرضاوى تلخيص للأقوال المروية عن علمائنا الكبار فى الزكاة وقيمة الزكاة وأيهما يخرج ؟ .

ولعلك تدرى أن الزكاة شُرِّعت لمصلحة الفقراء ، لا لإعناتهم، وأن عمر بن عبد العزيز الذى أخرج القيمة هو خامس الراشدين ، وأن شتمه منكر ! وأنه وأبا حنيفة لم يفتحا فى الدين ثغرة عندما فعلا ذلك .

ثم إن المنبر لذكر الله ، والحفاظ على شريعته وليس لنصر مذهب فقهى على مذهب فقهىٍّ آخر ، فما الذى أغراك بعرض أبى حنيفة تَلغ فيه ؟ .

إن زميلا لك فى القاهرة قال : إن الشافعىّ هو الذى أفسد القاهرة ! وآخر فى الجزائر قال : إن مالكا أخطأ السنة ، ولم يحسن الاتباع . . .

والفقهاء الأربعة الكبار هم من قمم السلف وأعلام الدين. فلماذا تنسوْن الأدب فى ذكرهم ، وتلتزمونه مع من دونهم ؟ .

إن كثيرا من المتعلمين يسىء إلى السلفية تحت عباءة السلفية ، وإنى لأُحذِّر من أولئك المتفيهقين الضعاف . .

كان أوْلى بهذا المتحدث أن يدرس الوافدين على المسجد، وأن يتعرف الفقراء الذين أُحصروا فى سبيل الله لا يسألون الناس إلحافا ، وأن يلفت إليهم أصحاب المروءات من أُولى الفضل والسعة ، فإذا أعطوا عسجداً بدل الشعير لم يُبطل سعيهم أو يعكر صفوهم ! .

إننا حصدنا الفرقة والخصومة من أصحاب الألسنة العمياء . ولا أعرف أياماً المسلمون فيها فقراء إلى التعاون والتواد أشدّ من هذه الأيام النكدة ! فليتق الله خطباء يضرّون أكثر مما ينفعون ، وليقرأوا كثيرا فقد سمعنا قديماً أن العلم نور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المطالبـــون بالعلمانية آثمـــون

بعض العرب يتركون دينهم،لأن شعوبا أُخرى تركت أديانها، أو شاع عنها أنها تركت أديانها .

ويقع ذلك دون تساؤل عن الأديان التى تركت : لم تركت ؟ وما الذى زهّد أصحابها فيها وصرفهم عنها ؟ نعم ويقع ذلك مع تغافل عما أسداه الإسلام للعرب قديما عندما كانوا قبائل لا ثقافة لها ولا حضارة،ثم أضحوا بالإسلام وحده أُمة خفاقة الرايات فى المشارق والمغارب،ممدودة السلطان فى البر والبحر . .

وتحت عنوان العلمانية أهمل كتاب لا ريب فيه ، وتنوسيت سنة مضيئة النهج،وقدِّمتْ بين يدى الله ورسوله أوهام وأهواءٌ غاض منها المجد والشرف ، ولم نجن منها إلا الصاب والعلقم ! .

إننى أعرف أن العلمانية انتشرت فى أمم شتى ، وعلى أنقاض أديان بعضها وثنى والآخر سماوى،ومع ذلك فإن هذه الأديان بقيت وبقى الانتماءُ إليها والتعصب لها . .

وتفسير ما حدث سهل ، فقد استغنى القوم عن الأجزاء المعطوبة والمكذوبة من مواريثهم ، واستحدثوا « قطع غيار » جديدة تحل محلها ، وصالحوا بهذا الترقيع بين ماضيهم وحاضرهم ، وظهر ذلك فى كثير من دول أوربا التى يحكمها الديمقراطيون المسيحيون ، بل إن الولايات المتحدة نفسها جددت الدعوة إلى إدخال الصلوات الكنسية

فى مراحل التعليم ، واستنكر رئيسها الحالى قصة فصل الدين عن الدولة .

إن العلمانية فى كثير من الأقطار غطاءٌ دقيق للعقائد الأُولى مع بعض التغيير والتحوير ! .

والغريب أن اليهود رفضوا العنوان العلمانى لدولتهم الدينية ، واستحبوا اسم إسرائيل ليكون رمز الولاء والانتماء والتشبث والوفاء !! على حين طولب المسلمون باستدبار قرآنهم ونبوتهم ، واستجلبت العلمانية ليتم تحت شعارها تغيير الفقه والتشريع وتغيير الأدب والتربية ،وتغيير العلاقة بالله ومنع الاستمداد من وحيه ! المطلوب ارتداد يتم بطريق التدرج أو الطفرة حسب الظروف والأحوال ! .

إن سيل الخسائر لا ينقطع من وراء هذا الفسوق،والهزائم المادية والأدبية تترى ، وإذا كان غيرنا معذورا فى نبذ مواريث له ناقضت العقل ، وخاصمت العلم ، وأشقت الجماهير،فما عذر الذين يطلبون منا أن ننسى دينا قام على العقل والعلم وجعل شرع الله حيث تتحقق مصالح الجماهير ؟ .

أرفض الغنـــاء

عندما ألقى محاضرة أعزم على المستمعين أن تكون أسئلتهم فى موضوعها حتى لا يتشعب بنا الحديث إلى غير وجهه ! ومع ذلك فبعد محاضرة ألقيتها عن معالم الرسالة الخاتمة اتجه إلى سؤال جهيرٌ مُلِحٌ يطلب منى حكم الإسلام فى الغناءِ ؟ وأكرهتنى الملابسات على الإجابة فقلت : الغناءُ كلام ، حسنه حسن وقبيحه قبيح ، إننى أسمع أُغنية « أخى جاوز الظالمون المدى » كلمات الشاعر على محمود طه ، ولحن محمد عبد الوهاب فتشجينى وأتجاوب معها ،ثم أسمع للشاعر نفسه والمغنى نفسه قصيدة « كليوباتره » فأُغلق الراديو وألعن الكلمات وملحنها ومذيعها . .

ثم استتليت. كان الصحابة – وفيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام يطوون مراحل الطريق إلى كفاح أعداءِ الله وهم يسمعون من يَشْدو « والله لولا الله ما اهتدينا . ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأَنزلن سكينة علينا ، وثبت الأَقدام إن لاقينا . فيكون هذا النشيد إلهابا لمشاعرهم وتخفيفا من معاناتهم .

ثم قلت : إن الصوت الجميل يحرك الجمال فتسرع .أفلا يحرِّك الرجال ؟ المهم هو المغنى النبيل والأَداءُ الجيِّد ! أما المجون واللحن الخليع والصوت الخنث فتلك كلها آثام . . ! ! . .

وانصرفت من المحاضرة المهمة التى بذلت فيها جهدا مضنيا ، وقلت : عسى أن ينفع الله بها . .

وبعد أيام جاءنى أحد الناس وهو دهش يسائلنى بلهفة : هل خطبت فى إباحة الغناء ؟ قلت : ماذا تقصد ؟ قال إننى جئت لفورى من ندوة دينية تحذّر الناس من حكمك فى إباحة الغناء ، وتثير عليك السخط !

ولم أشأ الرد السريع .فقد سرح فكرى فى أحوال بعض المتحدثين الإسلاميين وفوضاهم الفكرية والنفسية ، ثم أجبت شارحا ما وقع فى أعقاب المحاضرة التى تنوسيت وأهمِل ما فيها من خير كثير ، قلت : يا صديقى هذا المتحدث ضدى تنقصه أمانة النقل ، أو شرف القصد . فحكمه إلى الله ! إن من حقه أن يعارضنى ، ولكن بعد أن يذكر بدقة وجهة نظره نعم له أن يقول : أنا أرفض الغناء كله : حسنه وقبيحه ، فلا تصدقوا غير هذا . .

أما أن يعطى تصويرا مبهما لرأيى ويوقع فى روع الناس أنى أشجع الطبل والزمر فى أرجاء المجتمع فهذا عيب ! ! .

قال محدثى : سأردّ عليه ! قلت : لا تفعل ، إن هذا ما ينشده بعض الناس يشغلون الجماهير بقضايا فرعية ، ويريدون باللجاجة المفتعلة أن يصلوا بها إلى مجلس الأمن وذلك حتى لا يبقى وقت للقضايا المصيرية ، ولا تجد لها متسعا فى أذهانهم .

التعصب أساسه الجهــل

التعصب الكريه أن يجمد المرءُ على فكرة وصلت إليه بطريقة مَّا فلا يقبل لها مناقشة ، ويرفض أن ينظر فى أىّ رأى آخر يُعرض عليه ، بل إنه قد يعجز عن استبانة الرأى الآخر وما قد يكون فيه من صواب أو خطأ ، لأن عقله استغلق . فلا يتحمل جديدا ولا مزيداً . .

وكثير من الناس مصاب بهذا البلاءِ ، وقدوصف الله به المشركين الأقدمين عندما يسمعون القرآن ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر،وهو عليهم عمى. أُولئك ينادون من مكان بعيد﴾ نعم إن حالتهم الفكرية طوحت بهم بعيدا جدا فلا يكادون يعون خطابا لبعد المسافة النفسية . .

والمرءُ قد يتعصب لمواريث فكرية آلت إليه دون اكتراث بما فيها من صواب أو خطأ . يكفى أنها تراث الأوائل فكيف يتركها ؟ . ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون.قال :أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾.

وهذا التعصب على دمامته تمكن معالجته ، لأن أساسه الجهل ، ومع كثرة التعريف والتوضيح يمكن أن يلين الجامح ! لكن هناك نوعا آخر من التعصب يعز علاجه لأن أساسه الجحود والاستكبار .

لقد طلب موسى من فرعون شيئا محددا :﴿ فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم .قد جئناك بآية من ربك .. . ﴾ ! فكان جواب فرعون ﴿ أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك . . . ﴾ ؟ .

إن فرعون اتّهم موسى بما لم يفكر فيه ، وتغافل عامدا عما طلبه منه ، وحوّل القضية إلى وضع انقلب فيه البرىءُ متهماً والمتهم بريئا ، وبدل أن يقول : لن أطلق سراح المعذبين ، ولن أرسلهم معك قال : جئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض » !! والغريب أن بنى إسرائيل اليوم يتبعون المنطق الفرعونى فى معاملة العرب ، فبعدما أُخرجوا من أرضهم بالإرهاب المحلّى والدولى أخذوا يصفون العرب الذين يجاهدون للعودة إلى أرضهم بأنهم إرهابيون ! .

هذا المسلك القائم على تعصب الجحود والاستعلاء لا أمل فيه ولا جدوى من مجادلته ، وفيه يقول الحق ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فِى الأَرضِ بغير الحق. وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغىّ يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ .

هواة الجـــدل وتمزيق الصفوف

كنت قد تطرقت فى أحد دروسى إلى الإسرائيليات فى ثقافتنا القديمة ، وضربت مثلا لما شاع منها بيننا ، فقلت : يرى أهل الكتاب أن الطوفان عالمىّ عمّ الأرض،والتحقيق أنه محلىّ لا يعدو ديار نوح .

فصاح البعض : هذا غريب ، ما دليل أولئك المحققين ؟ قلت : أسرد عليكم ثلاثة مواضع من القرآن الكريم يتضح منها رأى القائلين بأن الطوفان ليس عالميا ﴿مما خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارا ،فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾.. ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرُّسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية . .. ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ،فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾.

قلت : وكانت أرض نوح شمالىّ العراق على عهد الدولة السومرية ، أيام الأُسر الحاكمة الأُولى من الفراعنة ، والطوفان لم يجىء وادى النيل، ولم يبلغ الهند ، وأوغل فى البعد أن يصل الأمريكتين . . الخ .

فردَّ أحد السامعين :هذا كلام لم نسمع به ! وقال آخر : هذا خروج على الإجماع ! وأخذت الردود تتدحرج حتى كاد البعض يصمنى ويصم المحققين بالكفر ! ! . . .

ورأيت ألا أمضى فى الموضوع ، وأن أنتقل إلى صفحة أخرى من الحديث ، ولكنى قررت أن أُهذِّب أُولئك الهمج، وأن أقمع تطاولهم ! .

قلت : لتكن الآراءُ ما تكون فى هذه القضية. فهى لا تتصل بعقيدة ولا عبادة ، ولا يرتبط بها خلق ولا سلوك ، إنها تفسير لفصل من فصول التاريخ يعتمد على فهم سَطْحِىٍّ أو متعمق لبعض الآيات !.

ومع ترجيحى لأن الطوفان محلىّ فإنى أستغرب ربط ذلك بالإيمان والكفران والشذوذ والإجماع والغضب والرضا والمخاصمة والمصالحة . . لماذا تحيصون هذه الحيصة وتريدون أن تخرجوا من مجلس علم أحزابا متفرقة لا إخوة متحابين وأصدقاء متعاونين متضاحكين ؟ .

ما هذا الغرام بتمزيق الصفوف وتقطيع الكيان ؟ .

قال لى أحدهم : هذا كلام ما سمعناه ! قلت : ومن قال إنكم سمعتم العلم كلَّه ؟ وليكن جديدا على آذانكم وضقتم به، فلم الاتهام الطائش ؟ وما عليكم لو طلبتم مزيدا من الأدلة لكلا الفريقين وعالجتم الموضوع ببرود ؟ .

آفة بعض الناس أنه لا يعقل إلا ما سبق إلى ذهنه ، وأنه يجعل من الحبة قبة . .

طيـــور لبنـــان ومذابح البشر

هناك خطر على الطير السارح ، فى جوّ لبنان ! فإن الصيادين أسرفوا فى اقتناصه حتى لأوشك على الفناء .. ولست أدرى أكان الصائدون طلاب لهو أم طلاب طعام ! كلا الأمرين جائز ، فإن كانوا يبغون الأكل لأنهم جياع فليس عليهم من حرج ! وإن كانوا ينشدون التسلية والمتعة فهم جديرون بالتوبيخ الذى استمعوا إليه من أقطار شتى ، فإن إزهاق روح زاحفة أو طائرة دون سبب مشروع إثم لا ريب فيه .!!

لكننى أحسست بالدهشة عندما سمعت الصراخ الطويل الذى أرسلته أوربا وأمريكا وراء هذا المسلك ، فإن المستعمرين البيض فى جنوب أفريقيا قتلوا وما زالوا يقتلون آلاف الزنوج دون سخط مسموع ، والمستعمرون اليهود فى أرض فلسطين يمحون آثار العرب ، ويشنون عليهم حرب إبادة ، دون نكير ، بل إن الدول العظمى ترى ذلك حقاً ، وترى المقاومة الفلسطينية إرهابا . .

يبدو أن حقوق الطير فى البقاء أرجح من حقوق بعض البشر ! فليقرأ العقلاء معى هذا الكلام « كتبت مجلة ألمانية مقالا طويلا عن الجرائم التى تقترف ضد طيور لبنان ، واستصرخت العالم كى يضع حدًّا لها بعد ما وصلت إلى حدود لا معقولة » .

وفى فنلندا استنكر رئيس الرابطة الفنلدية للمحافظة على البيئة هذه المذابح ، وقال إن الوقوف فى وجهها مسئولية العالم كله !

وفى لندن يواصل أصحاب الاختصاص توجيه النداء إلى الحكومة اللبنانية كى تبعث مندوبها لحضور مؤتمر يناقش هذه القضية الحساسة ، ويواجه خطورتها . .

قال الراوى : والأهم من ذلك أن الممثلة « بريجيت باردو » صعقت ، وأصابها الانهيار العصبى والنفسى ، وبقيت عدة أيام بدون طعام ، وألغت كل لقاءاتها « التربوية » مع قططها وكلابها بسبب الصدمة التى اعترتها عندما بلغتها أنباء المذبحة التى وقعت لطيور لبنان !

وسؤالنا البديهى : أما تستحق دماء العرب والزنوج شيئاً من الاكتراث؟ إن حقوق المستضعفين من البشر استبيحت على نحو شائن ، ومع مغيب الشمس كل يوم تغيب أرواح وهى تلهث وراء حق الحياة وحق الإيمان ، وتهلك شعوب وهى تذاد بجبروت عن مطالبها المشروعة فى الكرامة والحرية !

لماذا تُصمُّ الآذان دون هذا الصراخ النبيل ، ويعلن استنفار عام للدفاع عن بعض الدواب والهوام والحشرات والزواحف ؟

ترى : ما الذى يحتاج إلى التصحيح : الضمير البشرى ، أم أم العقل البشرى ؟

العيـد الحقيقى

لا أزال ألحّ على المسلمين أن يقتصدوا فى أفراحهم ، وأنَ يتركوا تقاليد السرف التى ألفوها فى أعيادهم بل فى أحفالهم كلها ، ما يسرّ وما يسوء !

إن لنا عادات ربما ورثناها من عصور الازدهار والانتصار يوم كنا سادة الدنيا بيد أن بقاء هذه العادات الآن فى أعراسنا وفى أحزاننا وفى المناسبات العارضة أمسى شيئاً لا مساغ له .

فأوضاع المسلمين الآن تبعث على الأسى ، والآفاق ملأى بالغيوم . .

عندما مات « أنور خوجة » زعيم ألبانيا الإسلامية ـ سابقا ـ لم أشعر بأمل فى عودة الحرية الدينية إلى شعب ظل يرسف فى الأغلال أربعين سنة كى ينسى دينه ، إن الخلف والسلف سواء فى كره الإسلام والعمل على محوه ، والعرب ذاهلون عن قضايا هذا البلد لأنهم قد أهمتهم أنفسهم ، وغير العرب لا يدرى ، وسيقول المؤرخون : لقد وجدنا جثة شعب مسلم قد ألقى بها اليم ، ولا تُعرف ظروف الغرق . .

وما فعلته الشيوعية بألبانيا غربا فعلت مثله فى الجناح الأيمن للعالم الإسلامى ،وهى تستأنف اقتراف الجريمة نفسها فى أفغانستان التى يستقتل أبناؤها فى الدفاع عنها ، والمسلمون كأنهم مجموعات من النظارة فى ملعب كرة ! !

وبين الحين والحين يرسل إلىّ مجاهدو الفلبين بأنباء قتالهم مع السلطات الصليبية ، ويصفون ما يكابدون من أهوال !

والنشرة التى تأتينى من « جبهة تحرير مورو الإسلامية » أقرأ عليها عنوانا دائماً ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ،ويكون الدين كله لله .فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ ويبدو أن الهجوم لا ينتهى لا فى مورو ولا فى سائر أقطار أفريقية وآسيا ، فما موضع الفرح وسط هذه الآلام النازلة بأمتنا عن يمين وشمال ؟

إن نبينا يدعو على طلاب اللذة وناشدى الراحة والخيلاء فى ملابسهم ومساكنهم فيقول : « تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش — يعنى إذا أصيب فلا جبر — فإلى متى نهتم بالملابس والمفارش والمظاهر الزائفة ، والأمر كما شكا الشاعر

لك الحمد ، أما ما نحب فلا نرى   ونبصر ما لا نشتهى فلك الحمد !

العيد الحقيق يوم ندحر الغارات المتوالية على ديننا وتراثنا ووجودنا كله ، أما قبل ذلك فلا .

وقاحة المتهجمين على السلف

هناك قوم لم تمنحهم الأقدار سعة الأفق،ولا سعة الخلق ، فهم يطلقون فى دروب الحياة قذائف موجّهة لا يسيطر عليها إلا فكر ضيق،وطبع نزق، وإحساس بالذات ،وانتقاص للآخرين . . .

السمة الأولى لهؤلاء أن الرأى رأيهم ، وأن لا مكان لغيرهم ، وإذا كان صدام فالحياة حقهم وحدهم ، والسوءى لخصومهم ، وقد يتزينون ببعض القراءات والطاعات لتعينهم على تحقير الكبار ، وتكبير الصغار !

وهل قَتل عمر بن الخطاب ـ أعدل حاكم فى التاريخ ـ إلا علج من هؤلاء ؟ .

روى ابن مردويه عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : نظر رجل من الخوارج إلى أبى « سعد بن أبى وقاص » رضى الله عنه فقال : هذا من أئمة الكفر ! فقال سعد : كذبت ! أنا قاتلت أئمة الكفر ! فقال له آخر منهم : هذا من الأخسرين أعمالا ! فقال سعد : كذبت ! « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم . . . »

الواقع أن الحزن خامرنى وأنا أرى التافهين يخاطبون السابقين الأولين بهذا الأسلوب الفاجر ، وإذا كان القادة الفاتحون يعاملون بهذا التجهم والاستهانة فهل يبقى للأمم تاريخ ؟ . .

هل حكى الفرنسيون أن كناساً لقى نابليون فى إحدى الطرق واستطال عليه هذه الاستطالة ؟ لعمرى أن سعدا وأشباهه من قادتنا أرجح كفة فى موازين البطولات من قادة أوربا وأمريكا الذين تلمع أسماؤهم ، وتحذف من السجلات هَنَاتُهم أو تتجاوز على عجل ، وتضخَّمُ أعمالهم ويُشادُ بها كى تكون نماذج للأجيال المقبلة .

إن نبينا صلوات الله عليه وسلامه استبعد من جماعة المسلمين مَنْ فقد الأدب الواجب مع الكبار وتعمد خدش أقدارهم فقال : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ،ويرحم صغيرنا ،ويعرف لعالمنا حقه »

ما أنبله شعوراً أن تثنى على عظيم ، وتكشف جوانب فضله ،وتستغفر الله لما قد يخطىءُ فيه . .

وما أرذله شعوراً ألا تؤتى ذا الفضل ، وأن تضاعف الأقاويل ضده !

إننى أقول ذلك لأنى لاحظت نابتة من الغوغاء تَتَتَبَّعُ الأعلام من رجالنا ، بدءًا من العصر الأول إلى هذا العصر فلا ترى سَنِى إلا ردمتْه، ولا غلطة إلا كبرّتْها ألف مرة !

لمصلحة مَنْ يتم هذا الجوْر؟لحساب من تبدو أمتنا هزيلة فى عالم يحاول فيه النحاف أن يسمنوا ؟

صمود الدعاة

سمعته يقول : سأعتزل الناس ، وأحيا بعيداً عنهم كى أريح وأستريح ! إن لغط الناس وسعيهم وأملهم ولغوبهم يثير الضجر والمقت ! بل إنه يضع حجاباً على بصرى وبصيرتى فلا أكاد أرى وجه ربى ! ولا أكاد أشعر بلذة المناجاة والتأمل . .

قلت له : أما أنك ستريح وتستريح فهذا حق ، ولكنك ستريح الشيطان وتستريح من مقاومته ، وتتركه يؤدى رسالته دون وجل !

وأما لذة المناجاة التى تنشدها فهى لذة الشاعر الذى يصوغ قصيدة رائعة يهيج بها المشاعر ضد الأعداء ، أو يثير بها الحنين لاسترجاع المجد المفقود ، ثم تبقى عنده قصيدته لأنه لم يجدْ لها ناشراً !

أخشى ياصاحبى أن يكون فرارك من المجتمع فراراً من الزحف ، ونكوصا عن الجهاد . . . !

إن العبادة الحقيقية لله أن تحرس الفطرة الإنسانية ، وأن تشتبك فى حرب دائمة مع البيئة التى تريد تشويهها أو تغييرها ! أنت تعرف أن كل مولود يولد على الفطرة ،أى على حقائق الإسلام ،وأن التقاليد الفاسدة والعقائد الزائفة هى التى تتلقَّفُ الأجيال الناشئة وتنحرف بها يمنة ويسرة بعيداً عن الصراط المستقيم . . فكيف تترك المجتمعات يستقر فيها الباطل ؟ ويتلاشى منها الحق ؟ ويحل الخنا محل الطهر ! والكفر مكان الإيمان ، والجور بدل العدالة ؟

ما يجوز أبدا الانسحاب من الميدان فيخلو الجو للشيطان .

قال : طالما زرعنا ، فإما أغار الجراد على الحرث فالتهمه ، وإما أغار عليه اللصوص بعد نضجه فانتهبوه ! ماذا نصنع ؟

وخلال الحديث اقتربنا من سيارة تخرج من محطتها لامعة الإطارات والهيكل . فقلت لصاحبي ضاحكاً : « ما أشبه حياتنا بهذه السيارة ! إن وظيفتها الركض الدائم بين المدن والقرى ، والتعرض للغبار والأوحال ، والاصطدام أحياناً ! إنها تعود إلى البيت للتنظيف والاستراحة القليلة أو الطويلة ثم تعاود الخروج لاستئناف الركض فى دروب الأرض ! وإلا فقدت وظيفتها . . ! !

إن عبارة القرآن الكريم فى وصف حياتنا توحى بهذا العناء : « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » . . .

ويعجبنى قول شوقى :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا ⠀⠀ إن الحياة عقيدة وجهاد

وكذلك قول مهلهل :

ولست بخالع درعى وسيفى ⠀⠀ إلى أن يخلع الليل النهار . . !

الماركسية قمة الالحاد

ما زلت أؤكد أن الإلحاد ظلمة نفسية لا استنارة عقلية ، وأنه كنود طبع لا حدة ذكاء !

وقد كان الإلحاد فيما مضى مرضاً فرديا لا وباءً جماعياً ، وكان صاحبه يُذَمُّ به ويُحذَّر منه ، وإن كان فى عصرنا هذا قد تحول إلى شئ آخر . .

على أنى أرفض الاتهام بالإلحاد الذى وُجِّه إلى كثير من الرجال المرموقين ، وأسيئُ الظن بأصحاب هذه الاتهامات !

قالوا : إن أبا العلاء ملحد ! ونسبوا إليه شعراً مكذوباً ينضح بالريبة فى الأديان كلها ، والرجل برئ ، فإن أروع قصائده قيلت فى رثاء فقيه حنفى المذهب ، وقد جاء فيها :

خلق الناس للبقاء فضلّت أمة يحسبونهم للنفاد

إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد !

فكيف بعد ذلك يكون ملحداً ؟ واتّهم ابن المقفع بالإلحاد ! ونسب إليه شعر يحنُّ فيه إلى عبادة النار ! ولا أدرى كيف يكون صاحب الأدب الكبير وكليلة ودمنة ملحداً ؟ والذى أراه أن دوافع سياسية أو شخصية من وراء هذه التهم .

وشغف بعض الناس بترويج تلك التهم كان من وراء تأليف الغزالى لكتابه « فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة »

وندع ماضينا الأول ، وننظر إلى عصرنا الحاضر ، إننا واجدون مروقاً لا يمكن إنكاره،وزيغاً لا يلتمس له عذر ! ربما ضلّ من ضلّ قديماً وهو يستخفى بأوزاره ويشعر بعاره.أما اليوم فإن ناساً لا يرون حرجاً من إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ومنهم من يأمر بترك الصلاة وفطر رمضان ، ومنهم من يرفض الحدود والقصاص ، وسمعت بغيا تقول : إن تعدُّد الزوجات زِنًا مقنّع ! !

وقد نجح الاستعمار الثقافى فى تجهيل كثير من الناس بدينهم وتجريئهم على حدوده وحقوقه .

وقمة الإلحاد فيما أراه أن تتألف أحزاب ماركسية علانية ، وأن تصل إلى الحكم لتفرض على الجماهير مبدأ « لا إله والحياة مادة »

إن هذا ارتداد صراح وقاح ، وإنى لمنزعج من تأليف حكومات عربية على هذا الأساس !

وقد راقبت النزاع الدامى بين مراكسة اليمن للانفراد بالحكم ، فما رثيت لقتيل ولا حزنت لدمار ، وإنما أسفت لشعوب غلبت على أمرها ، واستَخْذَتْ أمام سطوة الإلحاد أيًّا كان لونه ، وعجبت كيف يستفحل الشر على هذا النحو ، وتكون لأحزابه رؤساء وحقوق ترعى دولياً !

﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ . .

المؤمنون وحدهم يفهمون معنى الحج

تبدأ أشهر الحج من شوال ، غير أن انطلاق قوافله يتنمو رويداً رويدا ثم يتحول إلى سباق ناشط دءوب مع إقبال ذى الحجة .

وفى العشر الأوائل من هذا الشهر يبلغ النشاط قمته ويوفى على مداه. فإذا أفواج كثيفة من المؤمنين تزحم البر والبحر والجو مقبلة من المشارق والمغارب إلى البيت العتيق .

وتشهد السموات والأرضون منظراً عجيباً . . طائرات تعلو السحاب ملأى بالمؤمنين الهاتفين لله تكاد أصواتهم تغطى ضجيج المحركات. وبواخر تشق عباب الموج مولية شطر البيت العتيق ، لها بالتلبية جؤار موصول ، أما قوافل البر فقد تلاحقت يطير بها الحنين ، وإن كانت تجرى على الثرى . . .

وفى هذه المظاهرة التى استوعبت البر والبحر والجو ، لا تسمع فيها هتافاً إلا باسم الله وحده ، يأبى الكون المسبّح بحمد ربّه إلا أن يشارك هو الآخر فى التلبية التى يتجاوب صداها هنا وهناك كما جاء فى الحديث « ما من ملبٌ يلبِّى إلا لبَّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدرحتى تنقطع الأرض من هنا وههنا عن يمينه وشماله » .

إنه أمر جميل أن تبعث الشعوب الإسلامية وفودها إلى بيت الله لتشارك فى هذا الاستعراض الخاشع المنيب . .

ولأمر ما كانت العشر الأوائل من ذى الحجة أحب الأيام إلى الله . . .

رأيت رجلا قليل الاكتراث بشعائر الله التى تبرق فى هذه الأيام ، وكأنه يتساءل عن سرّ هذه الزحوف المنسابة إلى مكة ؟ قلت له : نداء الإيمان يتجدد على مر الزمان ، فمن عشرات القرون أوحى الله لإبراهيم « . . . وأَذِّنْ فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » ، إن اختلاف النهار والليل ينسى ، لكن صوت الوحى ما نسى ولا ضاع صداه،بل ظل واضح النبرات لا تزيده الأيام إلا جدّة ! !

قال : وما الغاية من وراء هذا الكدّ والضنى ؟ قلت : إن الإنسانية واحدة من آدم إلى إبراهيم إلى محمد ، شرفُها فى معرفتها لله وولائها له وحده ، وجَهْدُ الشيطان تعكير هذه المعرفة وتقطيع ذلك الولاء ، وقد كان إبراهيم نموذجاً للنبوات الأُولى فى حرب الأوثان ومطاردة الشيطان،وقد بنى فى مكة هذا البيت الخالد شعاراً للتوحيد ، ومناراً للعبادة المجردة ، ثم جاء خاتم المرسلين فأرسى القواعد لألوف مؤلفة من المساجد التى تتبعه فى الوسيله والهدف ، فلا غرابة إذا ارتبطت به وجاء أهلوها فى كل عام يجدّدون العهود !

وهزّ الرجل رأسه ، فشعرت أن الإيمان لم يدخل نفسه،ومن هنا لا يعرف معنى الحج .

امرأة مترجلة تضيق بالاسلام

كانت ذات منصب ونفوذ استغلتهما فى تشويه الإسلام ، ومحاربة رجاله ، وتنصير قوانين الأسرة ، ومساعدة الاستعمار الثقافى جهد الطاقة ! ثم شاء الله أن يذهب ذلك كله ، ولكن بقى الكره فى نفسها لشرائع الإسلام وشعائره . .

وذهبتْ فى سياحة طويلة ثم عادت فوجدت الطالبات محجبات ، وجمهرة كبيرة من النساء يملن إلى الاحتشام ويكرهن التكشف والتبرج ، فإذا هى تعلن سخطها ، وتقول : إن الرجعية عادت ! وإن الأمة مهددة بانتكاسة ، وإن ما بذل من جهود للنهوض بالمرأة ضاع أو موشك على الضياع !

ولم أعجب لِمَا قرأت ، فلم أكن أتوقع منها ولا من أمثالها توبة نصوحاً !

أما الذى عجبت له فما حكاه صاحبى لى بعد ذلك ، قال : إنها طلبت مع بعض النسوة الكبيرات المقام أن يزرن بابا الفاتيكان ، وقيل لهن : لا مانع ، ومراسم الزيارة معروفة ، إن البابا لا يستقبل إلا نسوة مؤدبات محجبات ، يبدون فى أزياء الراهبات لا يظهر منهن إلا الوجه واليدان .

وقلن فى رضا واقتناع : لا حرج !

ودخلت السيدة التى ازدرت الفتيات المسلمات المستعفات فى ملابس كاملة وزى تام الحشمة ! وخرجت من المقابلة قريرة العين ، شاعرة بالزهو . . .

لقد فكرت طويلا فى هذا السلوك ، إن فتياتنا الشاعرات برقابة الله الساعيات إلى رضائه ارتدين الملابس التى قضت بها آداب الإسلام ، فكن موضع غضب هذه المرأة وأشباهها ! فلماذا لبست هى لباس التقوى عندما سعت إلى مقابلة رئيس دينى آخر يطلب ذلك ؟

وعرفت الجواب المحزن ، إن بيننا رجالا ونساء يبسطون ألسنتهم فى الإسلام دون وجل وينتقصون رجاله دون حياء . . فإذا كانوا خارج أرضه التزموا الحدود المقررة وتقيدوا بالآداب المرعية ، بل لو رحلوا إلى بلد يعبد العجول لسارعوا إلى حمل حزم من الحشائش يتقربون بها إلى الإله المصنوع !

هؤلاء الرجال والنساء هم حصيلة سنين طويلة من الاستعمار الثقافى والعسكرى ، أفرغ أفئدتهم من الإيمان كله ،ومنحهم قدرة خارقة على إضاعة الصلوات ،واتباع الشهوات ،وتعريف المنكر ،وإنكار المعروف .

الإسلام وحده هو الذى به يضيقون ، ودعائمه وحدها هى التى يهدمون . . .

وأحقر ما رأيت ، منظر امرأة مترجلة تمتطى أحد الساسة لتبلغ على على ظهره ما تريد . . !

توجيه الشباب المتــدين

بحثت عن دوافع معقولة وراء اعتراف إسبانيا بدولة إسرائيل فلم أجد ، بل وجدت موانع اقتصادية تعوق ذلك الاعتراف ، وتجعله لوناً من المجازفة أو التضحية !

فهناك استثمارات عربية حجمها ثمانية آلاف مليون دولار تنعش الأوضاع المالية والاجتماعية داخل إسبانيا ، وهناك تجارة خارجية مزدهرة بين العرب والإسبان ، وهناك علاقات صداقة وتعاون أجدت على إسبانيا كثيراً خلال السنين الماضية ، فى مجال السياحة والسياسة على ســواء . .

ومع ذلك كله فقد قررت الحكومة الاعتراف بدولة إسرائيل ، وليكن مايكون ! إن انضمامها إلى الأسرة الأوربية يفرض عليها روحياً وفكريا ألا تشذ عن مثيلاتها . . .

ثم ما الذى سيقع ؟ إن المال العربى سيبقى فى أسواقها يعزز رخاءها ، والتجارة الخارجية لن تنكمش بعد هذا الاعتراف ! وأفواج السائحين لن تنقطع،فإن المتع المبذولة فى مصايف « الأندلس القديمة » تغرى طلاب اللذة بالقدوم ، وما أكثر طلاب اللذة بين أثريائنا ! . .

لقد نجح الاستعمار الثقافى فى خلق حال من التبلد وقبول الواقع المهين لو بقيت فلا بقاء معها لعروبة ولا إسلام ، ذلك أن اليهود يطوون المراحل إلى غايتهم دون كلال ، وهم الآن يضاعفون ضغوطهم

على المسجد الإبراهيمى ، وقد زارت لجنة من النواب المسجد الأقصى مرتين خلال اسبوع ، وهى تفكر بداهة فى إقامة الهيكل على أنقاضه ..

إن الشعور الدينى يزداد وهجة هناك ، بينما يسكب عليه الماءُ البارد عندنا ،وهذا التفاوت أفضل جوّ لتحقيق الأمانى اليهودية جملة وتفصيلا، وحسب العرب والمسلمين أن توضع قضاياهم فى « ثلاجة » هيئة الأمم ، ريثما ترمى فى المخلفات التاريخية بعد حين . . .

إننا نحن الذين نصنع هزائمنا ونخذل قضايانا ، وظاهر أن الروح الدينية تختنق فى كثير من البلاد ، لأن الأسلوب الذى رسم لمحاربة التطرف الدينى - كما يسمّى - قضى على المتطرفين والمعتدلين جميعاً . .

بين اليهود شيوخ وشباب متطرفون لا يحسنون ضبط عواطفهم كما يفعل غيرهم من لا يقلون عنهم تعصباً ، وقد عالج المسئولون هذا النزق بحكمة ودهاءٍ ، ونفّسوا عن هذا الحماس بما زاد الدولة نجاحاً ورسوخاً.فلماذا لا نضع سياسة ذكية لتوجيه الشباب المتدين ، والإفادة من حرارة إيمانه وعمق إخلاصه ؟ إن المشاعر الدينية بين اليهود والمواريث التاريخية بين الأوربيين والأمريكيين تتلاقى للإجهاز على جيل واهن الإيمان سقيم الوجدان . . .

ولا نجاة إلا بإحياء الروح الإسلامية الشجاعة الفدائية ! من الذى يواجه الشباب اليهودى الذى رفع راية إسرائيل أخيراً داخل المسجد الأقصى ؟

لماذا نتخلف ونحن مسلمون

ما قيمة الإنسان العربىّ يوم ينسلخ عن الإسلام،ويستعصى على توجيهه،ويمضى وفق هواه ؟ كم يساوى محلياً ودوليا من الناحيتين المادية والأدبية ؟ لقد نظرت إلى العرب فى تاريخهم الحديث فوجدت الجواب فاجعا ! وجدت أن ألف أسير عربى تم تبادلهم مع ثلاثة من الإسرائيليين ، وكانت الصفقة فى نظر اليهود رابحة بل مرضية .!

لماذا ؟ خيِّل إلىَّ أن الإسلام بالنسبة إلى العرب كتيار الكهرباء بالنسبة إلى المصابيح التى تعتمد عليه وتضىء به وحده ، فإذا انقطع التيار أمست زجاجات فارغة لا توقد بزيت ولا يشعلها عود ثقاب !!

إن الأجناس الأخرى قد تتحرك بفلسفات شتى ، وقد تعلو وتهبط بتيارات أخرى. أما العرب فما يمسك خصائصهم العليا إلا دين ، فإذا فقدوه عادوا قبائل متفانية ، بل عادوا سقط متاع ، أو أصفارا فى عالم الأرقام . فلا عجب إذا عودل ثلاثة يهود بألف منهم . ..

ورجعت البصر فى الأحداث الكثيرة التىتلدها الليالى المثقلة ، فرأيت ما يضحك ويبكى ! ألوف من العرب يزحمون السجون فلا يعتبر حبسهم إرهابا ، ولا تقييدهم إذلالا ، أما أشخاص يعدون على الأصابع من أمة أخرى فإن اعتراض طريقهم ، أو تهديد أمنهم جريمة كبرى، وأزمة عالمية، ولغط الأندية ،وشغل المحافل العالمية .. !.

ما أرخص الإنسان العربىّ فى دنيا الناس ، وما أهون دمه وعرضه ، وما أضيع حقه . . لكنه هو الذى فعل بنفسه ذلك كله ، إن المنتحر لا يتهم أحد بقتله ، فهو قاتل نفسه . . .

إن الله شرف العرب يوم ابتعث منهم محمدا،واصطفاهم لتبليغ رسالته ، فإذا أنكروا هذا النسب ونسوا تلك الرسالة، فما يكون شرفهم بين الناس ؟ ؟ . .

قالوا : لنا رسالة أخرى ، وولاءٌ آخر ! ترى ما تلك الرسالة إذا لم تكن الإسلام ؟ وما هذا الولاء إذا لم يكن للوحى الأعلى ؟ .

والعجب العاجب أن العرب يبتعدون عن القرآن والسنة فى الوقت الذى يهرع فيه الآخرون إلى مواريثهم يتشبثون بها ويستمدون منها ، قرأت عنوانا على مساحة ثلاثة أعمدة فى صحيفة كويتية يقول « ريجان يلجأُ إلى آيات إنجيلية للدفاع عن النفقات العسكرية » وقرأت لحكام إسرائيل ما هو أدهى وأمرّ . . .

أما نحن العرب العظماءُ فلا نقر هذه الرجعية ، ولا نحب أن نلجأَ إلى نصوص القرآن والسنة لإعزاز أنفسنا ، إننا أبناءُ هانيبال وامرىء القيس ،وحسبنا هذا من شرف أو من قرف . . !!.

حقب مجهـولة من تاريخنـــا

هناك عصور فى تاريخنا الإسلامى تكتنفها غيوم غامضة لا أعرف لها سببا ، ولا معنى لبقاء هذه الغيوم تحجب الرؤية وتخلق الأوهام !.

كان للمسلمين وجود حقيقى فى جنوب فرنسا ، وجنوب إيطاليا، وفى جزيرة صقلية ، وجزر أخرى فى البحر الوسيط ، وقد امتد هذا الوجود قريبا من قرن ونصف ، وكانت له آثار علمية واجتماعية بعيدة الآماد ، بل كانت هذه الأراضى المعمورة بالإسلام أرقى حضارة وأرحب ثقافة من شمال فرنسا وإيطاليا وأقطار أخرى وسط أوربا كانت غارقة فى الظلام . .

والغريب أن هذه الحقبة من تاريخنا لا تدرس إلا لماما ، وقد يكون الدارسون أصحاب غرض فيزوِّرون الوقائع عن عمد . .

وفى دراساتى الأخيرة تبين لى أن طوائف من الفرنسيين فى جنوب فرنسا الإسلامى عاونوا المسلمين فى حربهم ضد الشمال ،لأنهم رأوهم أعدل حكما أو أكثر تسامحا . . ! .

كما تبين لى أننى - وغيرى من القارئين - كنا على خطأ حين حسبنا معركة « بواتيه »هى التى وقفت الامتداد الإسلامى نحو الشمال . فهذه المعركة كانت مناوشة محدودة ، بقى الوجود الإسلامى بعدها عشرات السنين .

ولكن أوهاما جريئة أضفت على هذه الوقعة آثارا خيالية ، والصحيح أن توقف الزحف الإسلامى جاء من أن مركز الدفع قد ضعف ، وأن قوة الموجة قد تبددت ،وذلك كله لعوامل داخلية فى الأمة الإسلامية ، لا لأن المقاومة الأوربية كانت صلبة ، أو أنها كانت جديرة بالنصر . . .

أما صقلية فإن الفقيه المالكى أسد بن الفرات رضى الله عنه فتحها فى أثناء شيخوخته ، وقام المجاهدون بعزم شديد ، وتظهر أنه بعد هذا الأسد اشتغل الفقهاءُ بقضايا أُخرى،فانحسر المدُّ العارم من تلقاء نفسه ، ولم يزعم الزاعمون أن هناك « شارل مارتل » آخر هزم المسلمين ! ! كما تيسّر ذلك فى قصة بلاط الشهداء . .

أُريد من دارسينا أن يتعمقوا البحث فى تاريخنا السياسى والثقافى على سواءٍ ،فإننى أحس أننا نكرر أخطاءنا القديمة دون وعى ، إن هزائمنا تجيءُ من داخلنا ، نحن الذين نصنعها لا غيرنا ﴿ أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم ،فهم لا يسمعون ﴾ .

فســاد الادارة فى غيــاب الدين

قلت يوما : إن الدين قد يضمن لنا آخرة حسنة عندما نلقى الله جل وعزّ ، بيد أن ثمرة التدين لا تتأخر إلى ما بعد الموت ، أو إلى ما بعد انقضاء هذه الدنيا ، إن الإسلام ضمان يومنا العاجل ، وحياتنا الأُولى ، إنه مجدُنا هنا قبل أن يكون سعدنا هناك . . ! .

والذين نهكوا قوى الإيمان ، ونكسوا فى بلادهم راية الدين بدأوا يتجرعون الآثار المرة لذلك الانحلال ، لأنهم خلقوا مجتمعات منحلة كسولا ، وأنشأُوا أجيالا ظالمة مظلمة لا تحسن صنعا ولا تبلغ هدفا . .

والشكوى الآن عالية من ضعف الإنتاج وسوء الإدارة ، وهما مرضان يورثان التخلّف السياسى والفشل الاقتصادى ، بل هما من وراء التخلف الإنسانى الذى يوصم به العالم الثالث،ويحرمه كل تقدير ! .

وما ضعف الإنتاج وسوء الإدارة إلا نتائج ضعف اليقين،وغياب العزم ،وسيادة الهوى، وإظلام العقل .

كان العامل ـ أيام الرجعية كما يقولون ـ يحسن ما بين يديه ، ويخرجه متقنا أو أقرب إلى الإتقان ، ويحمد الله على التوفيق ، ويتناول أجره فينفقه فى مواضعه المشروعة ، ويلحقه من بركات الله ما يمنحه الرضا . .

ثم تغيرت الأحوال،وامتدت العين إلى مزيد من المتاع،وجمحت الشهوات ، فمع الطعام غناءٌ ومع الغناء نساءٌ ،ومع النساء خمر، ومع الخمر مخدرات،وأمسى الأمر فرطا ، ووقف العامل أمام آلته أو فى إدارته ، يطلب حقوقا ولا يؤدى واجبات ، ويكثر اللغو ولا يحسن العمل . .

وتعلم من حداة الركب ألا يسمع حديثا عن الله،وألا يتعوّد التردد على المسجد ، وألا يتعلق بالدار الآخرة ! .

وتراكضت النتائج المفزعة،فإذا الدول ترهقها الديون ، وكانت من قبل خالية البال ، وإذا الدول الغنية يتفلت ثراؤها من بين أصابعها ،ويلوح أمامها شبح الضياع . . .

وكأن الأرض كفت عن الإثمار ، وكان من قبل عطاءً مدرارا . .

وأرسلت عينى إلى أجهزة الإدارة فرأيت العجب ! هذا طلب لإنسان يشكو ضُرًّا نزل به ، لقد تحولت الورقة الواحدة إلى ملف كبير ، وما انكشف ضر ولا تحققت مصلحة ! .

ولم أدهش عندما قرأت أن أصحاب فرن استخدموا سبعة عشر حدثا مختطفين فى تشغيل فرنهم لمدة سنين ، وما انكشف لهم جرم ، مع أن هناك تفتيشا يوميا عليهم (!) .

إنه تفتيش على الورق ، إن العمل صوريٌّ لا صلة له بالواقع ، ومثل هذا السلوك لا جدوى منه أبدا . .

إن الذى يتحرك فى موضعه لا يقطع مرحلة ولا يحقق هدفا ، وتلك حالنا فى غياب الدين ، وضعف اليقين ، وانقطاع حبلنا مع الله .

السكوت على الظلم

أصدرت محكمة فرنسية حكما بالسجن المؤبد على مجرمين قاتلين ، وبالسجن أربعة عشر عاما على شريك لهما عاونهما فى الإجهاز على الضحيّة .

والقتيل فى هذه القضية شاب جزائرى مسلم كان يركب القطار فى فرنسا لشأن له ، ورآه فى رحلته المشئومة بعض المجنّدين الفرنسيين فقرروا قتله بإلقائه من القطار ، وهو منطلق بأقصى سرعته ! .

وتشبث الشاب بأذيال الحياة ، وقاوم القتلة بكل ما فى كيانه من قوة ، وكلما اقتربوا به من النافذة ليرموه أفلت منهم ،وبقى على قيد الحياة ، فانتضوا سكاكينهم ،وأخذوا يطعنونه ،حتى إذا خارت قواه ،ونزف دمه ،وعجز عن المقاومة ،تعاون الأنذال الثلاثة على حمله وإلقائه من القطار لتجهز عجلاته على ما بقى من حياة فى بدنه . . .

وكان فى القطار ثمانون مسافرا يشهدون فى صمت (!) هذه المأساة ، لم يفكر أحدهم فى التدخل لإنقاذ الشاب البائس ، ذلك لأنه جزائرى مسلم ، وتلك جريمته ! .

ووصفت المحكمة الجريمة بأنها تدل على عنصرية بغيضة ، ولذلك لم ترأف بالمتهمين ! ! .

والقضاء الفرنسى قد ألغى عقوبة الإعدام ، ولا يؤمن بشريعة القصاص التى أتى بها العهد القديم . . وليس ذلك ما أقف عنده ،

وإنما أتوقف عند المشاعر الخسيسة التى حملت ثمانين مسافرا على السكوت ، وهم يرون ظلما هائلا يقع على إنسان برىء ، واعتداء فاضحا على رجل لا ذنب له إلا أنه جزائرى مسلم . . .

إن الصفة التى استحق بها أهل الكتاب القدماء أن يلعنهم الأنبياء هى التواطؤ على المنكر ، والاجتماع على الإثم ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون﴾ ! .

ثمانون مسافرا يشاهدون قتلا عمدا ولا يتحركون ، ولا يصيحون ، ولا يشفعون ! هل قُدَّتْ قلوبهم من حجارة ؟ .

إننى أعرف المجرم الحقيقى وراء هذه المشاعر المتبلِّدة ! أعرف من شحن القلوب بالضغائن ، وحملها على أن تستبيح المسلمين وتتسلَّى بمصارعهم ! إنهم رجال دين ينسبون إلى المسيحية والمسيح منهم برىءٌ ، إنهم عبيد أنفسهم وشهواتهم وليسوا عبيدا لله . .

وتحت العنوان الجميل « الله محبة » يقترفون البهتان ، ويزينون للاستعمار التهام الحقوق ، وانتهاب الثروات ، وإذلال المستضعفين ، وقدرتهم على المداهنة باسم الدين فائقة ! ولو قدروا لغلَّفوا قنابل هيروشيما وناجازاكى بعبارة « الله محبة » ليتم إفناء الأبرياء باسم الله . .

(مؤامرات المتاجرين بالدين)

التعصب الأعمى بعيد عن مسالك المسلمين عامة والعرب خاصة ، ولم يُؤثر فى تاريخنا الطويل ما يسمّى بالحروب الدينية أو المذابح الطائفية ، ولم يتحول الخلاف العقائدى إلى ضغائن متوارثة تستبيح الدماء والأموال على النحو الذى عرفته أوربا وشقيت به شعوبها قرونا مديدة ! ثم شقينا نحن به عندما وقعنا تحت سيطرتها وضاعت منا حرياتنا ! .

والمسلمون ينظرون إلى مخالطيهم من أهل الأديان الأخرى نظرة بر ووفاء وإقساط ، متعبّدين لله بهذه النظرة ، غير مدفوعين إليها برغبة أو رهبة . . .

وما يعرف فى هذا العصر بالأقليات الدينية ، وما يقع عليها أحيانا حيفٌ لا وجود له فى دار الإسلام منذ بدأ الإسلام ، بل يمكن القول بأن هذه الأقليات هى أسعد الأقليات فى العالم أجمع . .

ويوجد الآن بين ظهرانى العرب المسلمين قرابة ثمانية ملايين مسيحى موزعين على هذا النحو : أقل من ثلاثة ملايين قبطى فى مصر ، وذلك وفق آخر إحصاء قام به الجهاز المركزى المختص من بضع سنين ،مع إضافة ما زاد بعد ذلك حتى اليوم .

كما توجد ثلاثة ملايين أخرى فى هذه الأقطار مجتمعة :سورية ولبنان والعراق والأردن وفلسطين ، ونستطيع ضم مليون نصرانى فى

جنوب السودان ، ومليون آخر فى بقية أقطار المغرب ، وسائر أنحاء العالم العربى . .

إن هذه الأقليات تحيا موفورة الكرامة مصونة الشعائر بين مائة وأربعين مليونا من المسلمين العرب دون تكلف ولا تعسف . . .

بيد أن الاستعمار العالمى ضائق بهذا الوضع الكريم ، وهو يفرض نظرته السياسية وأحقاده التاريخية على العلاقات العربية ، والمشاعر الدينية لينحرف بها عن الطريق السوىّ . .

وقد رفض من نصف قرن إجراء أى إحصاء سكانى فى لبنان ، وراغم الواقع مراغمة صفقية عندما جعل الموازنة أكثر من نصف السكان ! ومنحهم حقوق أكثرية مطلقة ، وطلب من الكثرة المسلمة أن ترضى بما دون الكفاف فى شئون الحكم والمال والتعليم وصبغة المجتمع ! ! .

والدم الذى ينزف فى لبنان من أحد عشر عاما يرجع إلى هذا الغل المستديم ، والإذاعات العالمية تميل إلى تصوير النزاع على أنه تطلّع إسلامى رجعى !! ثم هى تحاول نقل جراثيم الفتنة اللبنانية إلى أقطار أخرى ، وتلقى فى روع شتى الأقليات أنها أضعاف عددها المسجل من أيام الاحتلال البريطانى لوادى النيل وغيره ! .

إن السياسات الاستعمارية تتاجر بالدين ، وهى آخر من يتحدث عن الضمير الدينى والوحى الإلّهى ، وعلينا أن نتيقظ لمؤامرات القوم ، ونمزق النقاب عن وجهها الكالح وطلعتها المشئومة ، فإن هذه السياسات لن تعقب إلا الخراب والشقاق .

تطاول الخونة على الشرفاء

الكارهون لله ورسوله ترتفع أصواتهم بين الحين والحين كلما لاحت فرصة تُنَفِّس عن غليانهم المكتوم ، وما أكثر الفرص مع تعاقب الليل والنهار ، ومع تعرُّض العالم الإسلاميّ لضغوط المغيرين على تراثه من شرق وغرب .

هناك تقاليد إسلامية ذابت مع امتداد الغزو الثقافى إلى أعماق المجتمع ، وهناك خرافات وبدع بقيت ـ مع استنكار الإسلاميين لها ـ لأن استبقاء ما يشين الإسلام مطلوب ! .

ولكنى لم أر أصوات الكارهين أعلى،ولا ضجيجهم أشد إلا عندما طلبت الجماهير العودة إلى شريعة الله . ! .

لقد نطق الأخرس ، وهاجم من لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، وأمسى ذا رأى من لا رأى له ، ووسّعت الصحف صدرها للتافهين والثرثارين فكتبوا وكتبوا .

وطوت وريقاتها عن الناصحين الجادِّين،فبدت الساحة وكأن أنصار الإسلام ماتوا . . .

وإذا نشر شيءٌ لنصرة الدين المحرج فكلمات مقتضبة ضعيفة ، ربما كان كتمانها أجدى على الإسلام . .

شعرت بالضيق ولم أشعر بالخوف ، فقد عرفت من كتاب ربى عقبى الحاقدين على الحق مهما أُرخى لهم الحبل ، إنهم سيُجَرُّون به

إلى مصارعهم يوما ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

لكن غضبي اشتد عندما قرأت كلمات لبعض « الدكاترة » ، كانت أدنى إلى النباح منها إلى القول المرسل على عواهنه ، يقول هؤلاء : إن المسلمين كانوا يحيون ساكتين لا يطلبون الحكم بما أنزل الله ، فما الذى حركهم بغتة وأثار ثائرتهم ؟ إن هذا التحريك أتى من الخارج ! أى أن الشباب المسلم الحرّ المؤمن بربه ونبيه يعمل بإيحاء من وراء الحدود ،أى يعمل ضد مصلحة وطنه ! ! .

وهكذا تبلغ الجرأة بالمرتدين الخونة أن يتطاولوا على المخلصين الشرفاء ، أو تبلغ الجرأة بسماسرة الاستعمار الثقافى أن يتهموا الأوفياء لأصالتهم وعقائدهم .

وعندما ينزلق المهاجمون على الإسلام إلى هذا المستوى فلابد من إعادة النظر فى الأوضاع كلها ، وفى إعادة وزن هؤلاء الكاتبين ، والمآرب التى استُخْدِموا فيها . . .

نحن فى عصر تتحرك فيها أوربا وأمريكا بدوافع صليبية وصهيونية ، وقضايانا المصيرية تتدحرج تحت أقدام اليهود ، فكل تهوين من شأن الإسلام إنما يقع لحساب المغيرين ! وكل تمزيق لأنصاره مَدَدٌ لأعداء الله،وكل تحقير لشرائعه وشعائره إنما يتم لحساب المتربصين به ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

آفة زواج المسلمين بأجنبيات

أضحت الهجرة ــ مؤقتة أو دائمة ــ فريضة على كثير من المسلمين الذين يسعون لطلب الرزق أو لطلب العلم ، وصار مألوفا فى عواصم أوربا وأمريكا أن نرى الألوف من العرب والهنود والأتراك وغيرهم يزحمون بعض الأحياء ، وينشغلون بما جاءوا من أجله . .

والضرب فى أرجاء الأرض خلق إسلامىّ حسن ! أما التقوقع فرذيلة تضير الدين والدنيا معا ، ونحن نرفض قول الشاعر الكسول :

يقيم الرجال المكثرون بأرضهم   وترمى النوى بالمقترين المراميا !!

إلا أننى درست ظروف المهاجرين، طورا عن خبرة ،وطورا عن أخبار وثيقة، فشعرت بالقلق! وخيّل إلىّ أن خسائرنا تربو على أرباحنا ، وأن جماعات المغتربين والسائحين لم تجد من يعنى بها العناية الصحيحة ، والسبب واضح ،فإن هناك سكرة عامة أبعدتنا عن قضايانا المهمة ، وشغلتنا بما لا غناء فيه . .

إن الحصول على العملة الصعبة قد يكون الباعث الأكبر على العناية بالمغتربين وتتبع أخبارهم . . أما أوضاعهم الروحية والاجتماعية حيث يحلّون فشأن آخر ! .

وأنبه هنا إلى أن كثيرين من المهاجرين يعودون إلى أوطانهم بوجه آخر غير الذى ذهبوا به ، هذا إن عادوا ! أما الذين تبتلعهم الحياة الجديدة فجمهور فوق الحصر . . !

هناك رجال يتزوجون بأجنبيات ، وتسيطر عليهم عقدة النقص فيتركون ذرياتهم لدين غير الدين ولغة غير اللغة .

ومن الدول من يمنح جنسيته لكل طفل يولد على أرضه ، أو لكل من تضعه أنثى من مواطنيها . .

وهناك بيوت للشباب تحظى برعاية الكنائس المختلفة ، وتقدم المأوى لكل وافد . .

وهناك مسلمات « تزوجن » بأشخاص آخرين ، وفقدن هويتهن إلى الأبد ، وخرج أولادهن إلى الحياة يحملون نسبا غير النسب ودينا غير الدين . . .

وتيار الحضارة الغربية عاصف ، والقادمون من الشرق الإسلامى لم يدربوا على سباحة ، ولم يزودوا بالحصانات الواقية ، فما ينجو إلا من عصم الله . .

ولقد استبنتُ بعد ملاحظات فاحصة أننا نخسر الألوف فى صمت ، وقد نشعر بالرضا لأن نَفَراًمن الفلاسفة والمفكرين أعلن دخوله فى الإسلام ! فهل فى هذا عوض عما فقدناه ؟ .

إنه لابد من إعادة النظر فى مجتمعات المهاجرين والمغتربين،ورسم سياسة تعرف الواقع الذى يواجهه هؤلاء ، وتقدم عونا حقيقيا يمكنهم من الوقوف على أقدامهم ،والنجاة بعقائدهم وأخلاقهم . .

وعلى علماء الدين المشغولين بالمجادلات الفقهية والكلامية أن يصحوا لمواجهة الموقف ،وإلا هلكوا وأهلكوا .

من محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة



هـــذا الكتـــاب

- ★ هل أخطأنا الطريق ؟ .
- ★ مطلوب جيش من الدعاة .
- ★ أصحاب السلطة وحقوق الإسلام .
- ★ مغالطات العلمانيين .
- ★ الجمعيات الإسلامية بالخارج .
- ★ كيف ندعو إلى الإسلام ؟ .
- ★ رقابة الله أساس المسئولية .
- ★ باسم الإسلام يزينون الباطل .
- ★ لماذا نلوم أعداءنا ولا نلوم أنفسنا ؟
- ★ الدعوة ليست طريقها العنف .
- ★ الحملات المسعورة على ديننا .
- ★ هواة الجدل وتمزيق الصفوف .
- ★ مؤامرات المتاجرين بالدين .





